جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الموضوع

علاقة الأمير عبد القادر بالدولة العثمانية (1847-1870) م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبات :
- فاطمة معمري
- عائشة سعداوي

إشراف الأستاذ :
- احمد سعودي

السنة الجامعية 2014-2015

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
إهداء	
كلمة شكر	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي:مقاومة الأمير عبد القادر (1830–1847)	
1–مقاومة الأمير عبد القادر	07
1–1بيعة الأمير عبد القادر	08
1–2الأمير يتزعم المقاومة	09
2 – موقف الأمير من السلطة التركية	15
2–2موقفه من الحاج أحمد باي قسنطينة	19
2–3موقف الأمير من الباب العالي باسطنبول	21
3 – الضعف والاستسلام	23
3_1نقض معاهدة التافنة وتجدد القتال	23
3– 2الاستنجاد بسلطان المغرب	26
3–3الاستسلام وطلب الاستئمان	28
الفصل الاول :هجرة الأمير الى المشرق العربي	
1–ظروف انتقاله إلى القسطنطينية وإقامته فيها	34
1–1الأمير في سجون فرنسا	35
1–2نابليون الثالث يطلق سراح الأمير	39
1–3وصول الأمير إلى القسطنطينية	43

2-علاقة بالسلطان عبد المجيد	44
2-1الأمير يمدح السلطان عبد المجيد	44
2-2الأمير يدعو لجيش السلطان العثماني بالنصر	47
2-3حصول الأمير على الوسام المجيدي	48
3- إقامته في بروسه ونشاطاته فيها	49
3-1انتقال الأمير إلى بروسه ونشاطاته فيها	49
3-2الأمير عبد القادر يغادر بروسه متجها نحوى الشام	52
الفصل الثاني:انتقال الأمير إلى بلاد الشام	
1-علاقة الأمير عبد القادر بالدولة العثمانية	55
2/علاقة الأمير بالحركة القومية العربية	59
2-1الأمير ومشروع الدولة العربية في بلاد الشام	64
2-2 موقف الأمير من الاقتراح	67
2-3 موقف الدولة العثمانية من المشروع	69
2-4 لماذا أوقف الأمير المشروع؟ وطوي المشروع ؟	69
3- الخلاف العثماني الفرنسي حول المهاجرين الجزائريين وأثره على الأمير، وعائلته	71
3-1 الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين الجزائريين	71
3-3 الخلاف العثماني الفرنسي حول المهاجرين الجزائريين	73
3-4 موقف الدولة العثمانية من السياسة الفرنسية في المنطقة	75
3-5 أثر الخلاف الفرنسي العثماني حول المهاجريين على الأمير وأسرته	78
الفصل الثالث: أسرة الأمير ونشاطها في بلاد الشام	

1- نشاط الأسرة المؤيد لدولة العثماني	82
1-2 الأمير محمد	82
1-2 الأمير علي	83
1-3 الأمير محي الدين	86
1-4إخوة الأمير	88
2 - نشاط الأسرة المعارض لدولة العثمانية :	92
2-1 الأمير عبد المالك	92
2-2 الأمير عمر	94
2-3 الأمير الهاشمي	95
خاتمة	97
الملاحق	101
البيبليوغرافيا	

مقدمة

يعتبر الأمير عبد القادر الجزائري من عظماء القرن التاسع عشر، وأبو المقاومة الجزائرية الإطلاق، ومن أهم الشخصيات الوطنية التي وضعت أمجاد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، وقد استطاع هذا الأمير الدفاع عن وطنه لسنوات حقق فيها المجد والتعالي والنصر .

وقد كان الأمير يحصد هذه الانتصارات حتى بعد 1847م وذلك بفضل حكمته، ومواقفه الإنسانية وعلاقاته، مما فتح له الصدقات والإعجاب من كبار السياسيين في العالم.

ان الكثير من الدراسات تناولت الأمير عبد القادر، من حيث سيرته الجهادية ،و من حيث بناء الدولة الحديثة والملفت للانتباه في كل الكتابات المشرقية والفرنسية، وحتى الجزائرية هو تركيزها الكبير على محطات العسكرية في حياة الأمير، خاصة فترة جهاده وعلى تنظيماته الإدارية والاهتمام بالأمير الفارس المتصوف، ولكن من حيث العلاقات، خاصة علاقته بالدولة العثمانية فهي قليلة، خاصة بعد فترة استسلامه وانتقاله الى الشام أي بعد 1847 م.

ومن خلال كل ما سبق اخترنا أن يكون للموضوع العنوان التالي : **علاقة الأمير عبد القادر بالدولة العثمانية 1847 م – 1870 م.**

وقد فضلنا أن تكون هذه الفترة مقصودة لكونها غنية بالأحداث، وتعطينا صورة كاملة عن أحوال الأمير وعلاقته بالدولة العثمانية ،خاصة في بلاد المشرق و الشام، حيث يدخل في ضمنها علاقة الأمير عبد القادر بالسلطان عبد المجيد، إضافة الى علاقته بالحركة القومية والتي يظهر في طياتها موضوع تولية الأمير على بلاد الشام، بالإضافة الى أن الدولة العثمانية كانت تمر في فترة صعبة، فا عتبرت وجود الأمير في الشام أمر مقلق لسيادتها في البلاد .

وبهذا يمكننا طرح الإشكالية التالية : **ما هي طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية والأمير عبد القادر في فترة ما بعد 1847 م إلى 1870 م ؟.**

لتتمخض عنها مجموعة من التساؤلات الجزئية:

-كيف كانت علاقة الأمير عبد القادر بالدولة العثمانية قبل هجرته أي فترة مابين 1832م-1847 م؟

-كيف استطاع الأمير أن يحصد كل هذه الانتصارات حتى بعد 1847: وهل تم ذلك بفضل حكمته ومواقفه الإنسانية م؟

-كيف كان انتقاله إلى القسطنطينية ؟ وما هي ابرز سمات علاقته بالدولة العثمانية ؟

-إذا كان الأمير عبد القادر قد لعب دورا كبير في وأد الفتنة المسيحية سنة 1860م: فكيف تم له ذلك؟

-وما هو الرابط الذي جمعه بالحركة القومية ؟ وكيف نفسر صموده الذي أوصله إلى أن يكون مرشح لتتويجه ملك على بلاد الشام ؟ وهل كان للفرنسيين دور في هذا المشروع ؟

-وفيما تمثل موقف الدولة العثمانية في هذا كله ؟ ولماذا أوقف الأمير هذا المشروع ؟

- وماذا نتج عن الخلاف العثماني الفرنسي حول المهجريين الجزائريين ؟ وما الأثر الذي تركه هذا الخلاف على عائلة الأمير ؟

وإذا كان لأسرة الأمير نشاطا مؤيدا أو معارض للدولة العثمانية فيما تمثل ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة ارتأينا إتباع المنهج التاريخي الوصفي والاستقرائي، بالبحث عما هو إنساني في حياة الأمير عبد القادر، ومنهج تحليلي في دراسة مواقفه وعلاقاته، بكل أبعدها السياسية و الدينية .

كما قسمنا الرسالة إلى مقدمة و فصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة مرفقة بملاحق وقائمة المراجع والمصادر وفهارس .

مقدمة

تبدأ **المقدمة** بتقديم موضوع البحث مع طرح الإشكالية التي تتمخض عنها مجموعة من إشكاليات الجزئية حول الموضوع .

في حين يتضمن **الفصل التمهيدي** مقاومة الأمير عبد القادر 1832 م – 1847 م وإحاطة بأبرز أحداثها إضافة إلى علاقة الأمير عبد القادر بالدولة العثمانية في فترة مابين 1832 م – 1847 م والدافع الذي جعل الأمير يتصل بالعثمانيين .

أما **الفصل الأول** الذي كان بعنوان هجرة الأمير إلى المشرق، فقد تناولنا فيه انتقال الأمير إلى القسطنطينية، وعلاقته بالسلطان عبد المجيد وكيف كانت إقامته في بروسيا، ونشاطات التي قام بها فيها .

وجاء **الفصل الثاني** ليظهر لنا ظروف انتقال الأمير عبد القادر إلى الشام، وعلاقته بالدولة العثمانية في هذه الفترة، إضافة إلى إبراز الموضوع الذي يتعلق بعلاقة الأمير بالحركة القومية، والذي سنتحدث فيه عن مشروع تولية الأمير عبد القادر على بلاد الشام والمواقف منه، خاصة من طرف الدولة العثمانية .

وسنتطرق في هذا الفصل لمبحث يتناول الخلاف العثماني الفرنسي حول المهاجرين الجزائريين وأثره على عائلة الأمير .

أما **الفصل الثالث** فيخص أسرة الأمير عبد القادر ونشاطها في بلاد الشام، رغم أن هذا الفصل يتجاوز الفترة الزمنية المحددة لموضوع الرسالة، لكن كان لابد لنا من إبراز الدور الذي لعبته أسرة الأمير خاصة أبناءه لأن نشاطها سواء المؤيد للدولة العثمانية أو المعارض لها لبعض أبناءه يتجاوز هذه الفترة في بعض الأحيان .

مقدمة

أما العوامل التي شجعتنا على المضي في هذا الموضوع عديدة يختلط فيها الذاتي و الموضوعي، أهمها الندرة فالكثير من الكتابات تناولت الأمير عبد القادر لكن بالنسبة لارتباطه أو علاقته بالدولة العثمانية قليلة خاصة في فترة 1847 م– 1870م .

أما العامل الثاني فيتمثل في إلقاء الضوء على موضوع تولية الأمير على الشام، ومحاولة منا معرفة لماذا طوي هذا الموضوع ،و لم يكتب له النجاح ومعرفة موقف الدولة العثمانية من هذا كله وردها الذي تمثل في عدة إجراءات .

وقد عولنا في عملنا على مجموعة من المصادر معروفة منها تحفة الزائر في تاريخ "الجزائر و "الأمير عبد القدر الذي يعبر عن كبير الجهد للمعلومات القيمة التي سجلها المؤلف عن والده في الحرب والمنفى والهجرة ويحتوي الكتاب أيضا عن معلومات دقيقة وغزيرة عن " الجزائر " في عهد الكفاح، وكذلك عن الأمير محمد نفسه، منذ نفيه سنة 1847م ويضم وثائق هامة تجعله مصدرا لا غنى عنه لدراسة تاريخ الجزائر. بالإضافة إلى مصادر أخرى مثل هنري تشرشل كتاب حياة الأمير وعادل الصلح في كتابه سطور من الرسالة الذي يعتبر حفيد أحمد باشا الصلح الذي كان أحد الحاضرين في مؤتمر دمشق الذي أعلن عن تولية الأمير عبد القادر على دمشق إضافة إلى دراسات الدكتور عبد الجليل التميمي التي تتحدث عن علاقة الأمير عبد القادر قبل 1847م إضافة إلى عدد من المراجع وأعمال ملتقيات خاصة بالأمير عبد القادر.

إن أهم الصعوبات التي تواجه الباحث عادة تكمن في جمع المادة العلمية، وكيف إذا كان هذا الموضوع يتعلق بالأمير عبد القادر الذي تعج المكتبات بالكتب عنه وعن مقاومته، ولكن إذا تعلق الأمر بفترة ما بعد الاستسلام وموضوع علاقته بالدولة العثمانية فهنا تظهر الصعوبة لندرة الكتابات والدراسات عنه.

ولا يسعنا في نهاية هذا البحث إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في هذا البحث من قريب أو بعيد .

وبالتأكيد الأستاذ المشرف الدكتور أحمد سعودي، الذي كان خلف هذا العمل في كل مراحله منذ أن كان فكرة إلى غاية خروجه، وختاما نسأل الله العلي القدير العون والتوفيق والسداد، وان تكون هذه الصفحات على ما اكتنفها من قصور خالصة لوجه الله الكريم، وأن تكون محاولة جادة لوضع بعض الحقائق التاريخية أمام الأجيال .والله من وراء القصد.

الفصل التمهيدي

مقاومة الأمير عبد القادر من (1832-1847)م

1-مقاومة الأمير عبد القادر

2 – موقف الأمير من السلطة التركية

3 – الضعف والاستسلام

مقدمة

خاتمة

الفهرس

البيبليوغرافيا

الفصل الأول

هجرة الأمير إلى المشرق العربي

1-ظروف انتقاله إلى القسطنطينية وإقامته فيها

2-علاقة بالسلطان عبد المجيد

3- إقامته في بروسه ونشاطاته فيها

الفصل الثالث

أسرة الأمير ونشاطها في بلاد الشام

1- نشاط الأسرة المؤيد لدولة العثماني

2 – نشاط الأسرة المعارض لدولة العثمانية

الفصل الثاني

انتقال الأمير إلى الشام

1-علاقة الأمير عبد القادر بالدولة العثمانية

2/علاقة الأمير بالحركة القومية العربية

3- الخلاف العثماني الفرنسي حول المهاجرين الجزائريين وأثره على الأمير، وعائلته

الملاحق

1-مقاومة الأمير عبد القادر:

أمام السهولة التي أحتل بها الاستعمار الفرنسي الجزائر لسوء وضعف تنظيم الداي حسين * والذي بعد أن خ سر معركة واحدة بسطاولي لجأ إلى التفاوض قصد الاستسلام والرحيل بعائلته التركية إلى نابولي* ثم إلى تركية محملا بالذهب والممتلكات الأمر الذي تم له[1]، فكان لنتيجة سقوط العاصمة الجزائرية في 05 جويلية 1830 باستسلام الداي حسين ورحيله عن البلاد وما تبعه من استسلام الباي حسن باي وهران ورحيله هو الآخر[2]، وسقوط وهران سنة 1831، عمت الفوضى اضطربت الأحوال[3] بين مختلف القبائل التي زرع بها الحكم العثماني فيها الفساد والأحقاد ولجأ جيش الاحتلال الفرنسي إلى التقتيل والنهب واستولى على الخزينة التي كانت تحتوى على أموال طائلة فحولوها إلى فرنسا[4]، وهم الذين تذرعوا بحجج واهية بأنهم لا ينووا سوى تأديب الأتراك وتحرير أهالي الجزائر من الحكم الجائر [5] أمام هذا الوضع المتردي هرع أهل الغرب الجزائري إلى الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر يطلبون منه قيادتهم لمواجهة الغزو الفرنسي لكنه اعتذر لكبر سنه وعندما ألحوا عليه قبل ذلك بشرط أن ينوب عنه ابنه الشاب عبد القادر بالنيابة.[6]

---

*- **الداي حسين** :هو آخر دايات الجزائر كان قبل حكمه خزناجيا أو وزير المالية ولي قرابة له مع الداي الذي سبقه وصل إلى الحكم سنة 1918، في عهده وقعت حادثة المروحة 1827، ثم الاحتلال 1830، وعلى إثرها غادر الجزائر بعد توقيع معاهدة الاستسلام مع فرنسا ورحل إلى الإسكندرية وتوفي بها 1838.انظر(جون.بـــ.وولف، **الجزائر وأوروبا** (1500 -1830م)،تر وتع أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص(440 -441)).

*- **نابولي** : عاصمة المملكة منذ 1282 حكمها ملوك البر بون منذ 1734 -1860 مركز تاريخي وثقافي وفني وسياحي.(الشيخ عبد الله العلا يلي وآخرون، **المنجد في اللغة والإعلام**، ط43 دار المشرق، بيروت، 2008، ص 574).

[1] - رابح لونيسي وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر**(1830-1989)ج 1، دار المعرفة ا، الجزائر، 2010، ص126.

[2] - عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج 1، دار البعث، الجزائر، 1991، ص 41.

[3] - نور الدين مسعودان، **أعلام الجزائر**، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 32.

[4] - رابح لونيسي آخرون، **رجال لهم تاريخ**، دار المعرفة، الجزائر 2010، ص 41.

[5] - – إبراهيم مياسي،**المقاومة الشعبية**،دار مداني للنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص07.

[6] - عمار قليل، المرجع السابق،ص (41-42).

1-1بيعة الأمير عبد القادر:

بعد اقتراح محي الدين أن ينوب ابنه عنه في القيادة، وفي هذا السياق يتحدث زكريا صيام في كتابه ديوان الأمير عبد لقادر نقلا عن رابح لونيسي عن لظروف التي مهدت وسبقت تاريخ المبايعة، فيقول : "حيث اشتدت الحاجة إلى رجل يقود الجهاد فاجتمع الأشراف والعلماء والأعيان فقدموا إلى السيد محي الدين والد الأمير عبد القادر وألزموه أن يقبل بيعتهم على الإمارة فاعتذر عن القبول لكبر سنه، وقدم لهم ابنه الأمير عبد القادر لما رأوا فيه من مقومات القيادة والصلاح وعلو الهمة[1]" حيث خطب فيهم قائلا ولدي عبد القادر شاب تقي، فطن، صالح لفصل الخصوم ومداومة الركوب ...،ولا تعتقدون أني فديت به نفسي لأنه عضو مني وما أكرهه لنفسي أكرهه له...،غير أني ارتكبت أخف الضررين حين تيقنت الحق فيما قلتموه، مع تيقني أن قيامه به أشد من قيامي وأصلح فسخوت لكم به ... [2] ففرحوا أشد الفرح نظرا لما كانوا عليه من ضيق، وأعلنوا جميع بالطاعة ونصرته والدعاية له بحيث أنهم يحمونه بما يحمون به أنفسهم وأموالهم[3].

وفي 27 نوفمبر 1832 اجتمع زعماء القبائل والعلماء في سهل غريس قرب معسكر عند شجرة الدر دار[4] وعقدوا البيعة الأولى في مسجد معسكر وهو في 24 من عمره كقائد عسكري وزعيم ديني[5] أطلق عليها اسم ناصر الدين تلتها البيعة العامة في 04 فيفري 1833 في هذه الظروف الظروف تحمل الأمير مسؤولية الجهاد والدفاع عن الرعية وديار الإسلام.[6]

---

[1] - رابح لونيسي وآخرون،**تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص121.

[2] - نور الدين مسعودان ، المرجع السابق،ص33.

[3] - يحي بوعزيز،**الأميرعبد القادر** رائد الكفاح ويليها الأمير عبد القادر بطل الكفاح،دار البصائر،الجزائر ،2009،ص49.

[4] - إدريس غرغورة، فارس الجزائر **الأمير عبد القادر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر (،د.م.ن)،ص 14 .

[5] - محمد ألطيبي، **الجزائر عشية الغزو الإحتلالي**، ط1، دار نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص174 .

[6] - يحي بوعزيز،**الأمير عبد القادر** بطل الكفاح،المرجع السابق،ص49.

1-2الأمير يتزعم المقاومة:

بدأ الناس يرددون فرحين برئيسهم الذي طلب منهم الاستعداد للجهاد ضد المستعمر إذ رددوا قائلين:"حياتنا وأملاكنا وكل ما عندنا لك لن نطيع قانونا غير قانون سلطاننا عبد القادر"،فأجابهم بقوله:"وأن بدوري لن أخذ بقانون غير القران،ولن يكون مرشدي غير تعاليم القر آن، والقرآن وحده،فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه لمخالفة القران لمات".

أدرك الأمير عبد القادر بذكائه أن لا يمكن مواجهة الاستعمار الفرنسي إلا بعد بناء دولة قوية وحديثة وهذا يتطلب إقامة مؤسساتها والقضاء على القبلية والعروشية وتوحيد الشعب على أساس الولاء للوطن والعقيدة فقط [1] بعد نشاطه العسكري لمحاربة على جبهتين في آن واحد، فقد كان يحارب القبائل المتمردة ويحاول أن يوحد الصف ويعيد الأمن إلى نصابه لأن الأمير اعتبر الولاء والطاعة واحترام قرارات دولته تعتبر عناصر أساسية لنجاحه أو فشله في مواجهة الفرنسيين الذين كانوا يراهنون على فشل العرب في تنظيم أنفسهم وعدم قدرتهم على جمع تيار عربي كفء للنضال والمقاومة[2] فكان أول عمل قام به الأمير عبد القادر تمثل في إخضاع القبائل التي رفضت الولاء له بصفته السلطة الشرعية للبلاد، وهذه القبائل هي التي كان الحكام العثمانيون الفاسدون يستعملونها لجلب الضرائب من القبائل ، ومنهم الحكام الذين كانوا يطبقون سياسية فرق تسد لضرب هذا بذاك، فعمل القضاء على ذلك وتوحيد الشعب تحت راية ضد عدو المشرك وهو الاستعمار الفرنسي[3].

أما عن الجهة الثانية المتمثلة في الاستعمار الفرنسي فقد بدأ باستخدام المباغتة في الهجوم على جيوش الاحتلال الفرنسي، ومن خلال حرب العصابات بوحدات صغيرة وفي مواقع صعبة جغرافيا

---

[1]-رابح لونيسي، **رجال لهم تاريخ**، المرجع السابق،ص41.

[2]-رابح لونيسي وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص76.

[3]-رابح لونيسي، **رجال لهم تاريخ**، المرجع السابق،ص42.

لإرباك قواته وإرهاب ضباطه ومع استهداف أكثر من موقع للعدو، الأمر الذي منع العدو من استغلال تفوقه، في العدة والعدد والذي سبب إنخفاضا معنويا في أفراد قواته،علاوة على ما غنمه الأمير من أسلحة وذخيرة وتجهيزات حربية ضرورية، هذه الإستراتيجية سبت هزائم متوالية للعدو كمعارك خنق النطاح الأولى والثانية، وبج العين بالمنطقة الوهرانية خلال سنة 1832 .

لقد رغب الأمير عبد القادر في قتال العدو بالاعتماد على حرب العص بيت دون المواجهة المنظمة محافظا على قواته وأسلحته أمام العدو الذي يملك فن الحرب ويتفوق عليه، كما أدرك الأمير بضرورة إنشاء جيش نظامي مواظب تحت بقعة الدولة، فأصدر بلاغا إلى المواطنين باسمه يطلب منهم بضرورة التجنيد، فاستجابت له القبائل الغربية والجهة الوسطى فكون منهم جيشا نظاميا،مكون من ثلاثة أصناف :المشاة، الفرسان، المدفعية، مع توحيد اللباس وإصدار الأوامر والقوانين العسكرية الدالة على الانضباط، ووضع سلم تسلسلي زمني للرتب العسكرية على النحو التالي :رقيب، رئيس الصف، السياف، الأغا، و تقسم الوحدات الأساسية في الجيش النظامي إلى كتائب بحيث تضم الكتيبة-100 جندي، واستطاع بفضل هذه الإستراتيجيات توسيع دائرة نفوذه بحيث شملت جزءا كبير من الوطن مثل إقليم تلمسان،مليانة البحيري (المدية) [1]،كما استطاع بفضل جيشه شبه النظامي الذي بلغ قرابة 60000 رجل أن يواجه ضربات قاتلة ومرهبة لجيوش الاحتلال ولأعوانهم الخونة، الأمر الذي مكنه من نشر الأمن والثقة في ربوع دولته الوطنية، مما جعل الاستعمار الفرنسي يضطر إلى المهادنة بإبرام معاهدة ديميشال * في26 فيفري1834[2]، كما اشتدت

[1] - إبراهيم مياسي، **المقاومة الشعبية**، المرجع السابق، ص130.

* - **دميشال:**هو لويس أكسس دي ميشال ولد بالرين(فرنسا)في 15مارس1779 التحق بالجيش وبلغ رتبة جنرال،عين قائد وهران1835،توفي بباريس في08 جوان1845.انظر (أديب حرب، **التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر**،ج1،ط3،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2005،ص91).

[2] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص130.

وطأة الحصار الاقتصادي المفروض على الفرنسيين في وهران ومستغانم وآرزيو، كل هذه الظروف أجبرت الجيش الفرنسي على إبرام معاهدة دي ميشال[1].

حيث طلب ديمشال الهدنة من الأمير عبد القادرمن1833-1839[2] والتي تضمنت الشروط التالية:

1 - وقف القتال إبتداءا من ذالك التاريخ وتعيين عناصر في وهران آرزيو مستغانم لكلا الجانبين

2 - احترام الديانة الإسلامية والعادات المحلية [3].

3 - إطلاق سراح المساجين من كلا الجانبين الفرنسي والعربي [4].

4 - تكون الأسواق حرة للتجارة.

5- أن يحمل كل مسيحي يتجول في داخل البلاد جواز سفر مختوم عليه بختم القنصل الذي يمثل الأمير في كل من وهران ومن الجنرال ديميشال[5].

ـ استغل الأمير الهدنة لتوسيع نفوذه، فتوغل في إقليم التيطري واستولى على مليانة في افريل 1835 وعلى المدية في الشهر التالي،وتوسع شرقا فاخذ مدينة بسكرة،كما استغلها في تنظيم جيشه.

---

[1]-رابح لونيسي وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر**، المرجع السابق، ص 130 .

2-Haani Abd el kader,correspondonces de l' emir Abd elkader(1833-1883) , dar el Gharp, Oran, 2009 p174.

3- إسماعيل العربي،المرجع السابق،ص103

4- بشير كاش الفرجي، **مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر** (1830 - ـ1962)،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر 2007، ص 305 .

[5]-اسماعيل العربي،المرجع السابق،ص103.وكذا يحي بوعزيز،**الأمير عبد القادر** بطل الكفاح، مرجع السابق،ص51.

اقلق نفوذ الأمير المحتلين، فعزلت الحكومة الفرنسية دي ميشال عن قيادة وهران في 05 جانفي1835 وعينت بدلا منه الجنرال تريزيل (trezel)[1] الذي عمد إلى نقض الهدنة بجملة من الالتواءات والأباطيل[2]،حيث قام بتقديم الجيش غرب الهبرة[3]، كل هذا من اجل فرض السيطرة على قبائل الدوائر والزمالة التي أعلن أهلها موالاة تريزيل حاكم وهران،ورضوا بحكمه عليهم وطلبوا منه مساعدتهم على التنقل إلى احواز وهران حيث شملهم حكمه [4]،وكان هذا بزعامة الحاج مصطفى بن إسماعيل*وصديقه نزاري اللذان يصفهما بوهان كارل بيريت في كتابه الأمير عبد القادر بأنهما كانا أغنى من عبد القادر وجرت بينهما مناوشات معه لكونهما كانا دوما مع الأتراك أيام حكمهم، واستطاع الأمير إخضاعهم واستطاع الأمير إخضاعهم، ومع ذلك كان يبدي لهما احتراما كبيرا ويعتبرهما صديقين له خوفا من أن يسلكوا سلوكا غير ذكي باستمالة الجنود والعامة بالأموال،لذلك تودد لهما ومنحهما مكانة في جيشه، لكن روح العداء ضلت تراودهما حتى غادر المنطقة وانتقلا بكل ما كان لديهما إلى وهران التي كان يحكمها الجنرال تريزيل* راغبين في الحصول على بعض الأراضي، فقبل الجنرال الفرنسي استسلامهم بفرحة كبيرة،وحدد لهم مكان قرب وهران يقيمان فيه،وما كاد الخبر يصل إلى الأمير عبد القادر حتى طلب تسليمهما استنادا إلى

---

[1] -رابح الونيسي وآخرون،**تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص79.

[2] -يحي بوعزيز،الأمير عبد القادر بطل الكفاح،المرجع السابق،ص29

[3]-Chikh Bouamrane . mohamed Djidjelli, L' algerie cloniale par les textes(1830-1962, Anep, 2008, p34.[3]

[4] يحي بوعزيز،**الأمير عبد القادر بطل الكفاح**،المرجع السابق،ص29.

* **مصطفى بن إسماعيل** :ولد في المعمارية حوالي1762،وتوفي بالبيوضة في مقاطعة وهران1849،خدم الأتراك وإمارته قبائل المخزن وعن عمر يناهز الستين من عمره عين أغا الدوائر والزمالة،حالف الفرنسيين بعد دخولهم للجزائر،قاتل عبد القادر رفقة ابن أخيه مزاري إلا أن توفي دون تحقيق حلمه عن عمر ناهز80 انظر (أديب حرب، المرجع السابق،ج1،ص56.).

* **تريز يل**:(1780-1860م)حارب مع نابليون وقبل معركة وترلوا سنة1815رقي إلى رتبة عقيد وفي نهايتها إلى جنرال،وخلالها فقد عينه ا لسرى،قاتل في مدينة عنابةسنة1832عناصر أحمد باي بقسنطينة،وفي أوائل1835عين قائدا لمقاطعة وهران.انظر (أديب حرب، المرجع السابق،ج1،ص157).

معاهدة الصلح[1]، وان يرفع حمايته عن هذه القبائل ليعيدها إلى سلطته، إلا أن هذا الأخير رفض، فدخل الفريقان في حرب حيث التقيا في حوش غابة مولاي إسماعيل قرب مدينة سيق في 26جوان 1835،انهزم فيها الفرنسيون [2]،واضطروا إلى التقهقر والتراجع نحو آرزيو، لكن الأمير لم يمهلهم فأعد لهم كمينا عند ملتقى واد سيق والهبرة، ويسمى المقطع (شرقي مدينة آرزيو وشمالي سيق)،لكونه الممر الوحيد للفرنسيين إلى آرزيو [3]،تكبدت فيها القوات الفرنسية هزيمة نكراء ترتب عنها انعكاسات وأثار منها:عزل الحاكم العام دير لون والجنرال تريزيل.

ومهما يكن فان معركة المقطع أفنت على ما حصيلته 500 جندي فرنسي، وأكثر من 1000 جريح،هذه الهزيمة هزت الرأي العام الفرنسي مما اضطر حكومة باريس إلى عزل الحاكم العام،وحاكم وهران وعينت بدلهما الجنرال كلوزيل* وبيجو حيث اقسما اليمين الثلاثة المسيحية بالثار لكل المسيحيين الذين ماتوا في الجزائر دفاعا عن فرنسا [4]،فقام كلوز يل بجيشه، بمهاجمة معسكر عاصمة الأمير بعدما أخلاها هذا الأخير، فوجدوها فارغة فخربوها مما اضطر الأمير إلى اتخاذ تاكدامت (12كلم غرب تيارت)عاصمة جديدة، كما قام وا بدخول تلمسان في 13 جانفي 1836[5]،فاحتلوها وداسوا مساجدها وديارها.

---

[1]- بوهان كارل برينت،**الأمير عبد القادر**، تر وتق:أبو العيد دودوا،دار هومة، الجزائر، 2012.ص77.

[2]-ابراهيم مياسي،المرجع السابق،ص18.

[3]-رابح الونيسي وآخرون،**تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص79.

* **كلوز يل**:(1772-1862)ساهم في قيادة الجيش الفرنسي بالجزائر إبتداءا من شهر اوت1830 عينه لويس فليب خلفا ل دبرمون ليستبدل بعد فترة وجيزة بالجنرال برتزين،عاد ثانية للجزائر كحاكم عام في 08جويلية1835 .انظر :(احمد باي،**مذكرات أحمد باي**،(د.م.ن)،بلريس،1971، ص 20).

[4]-البشير بلاح،**تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص133.

[5]-رابح لونيسي وآخرون،**تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص80.

وخلال عمليات كلوز يل الحربية التي كانت تهاجم جيوش الأمير عبد القادر كانت قوات أخرى بقيادة توماس بيج و* في ماي 1836 تقوم بعمليات تمشيط للقوات المتبقية للأمير في أماكن القتال بمساعدة الخونة.

وبسبب تعاون القوتين تم تطويق قوات الأمير في واد سكاك غربي تلمسان، وتم مطاردتها خلال جويلية1836[1]، وبعد فترة من المناوشات الحربية التي كان النصر في اغلبها للأمير، اضطر بيجو مكرها إلى عقد صلح آخر مع الأمير خاصة لما نجح هذا الأخير في حصار تلمسان حتى عجل الله باسترجاعها

في هذه الأثناء تمكنت الجيوش الجزائرية على كل من المدية والجزائر ووهران، لما اشتدت على الفرنسيين على ما حل بهم في الحصار المضروب وصعب عليهم محاربة الجزائريين في جهتين مختلفتين شرقا وغربا[2]بالإضافة إلى صمود جيش الأمير فقد لجأ بيجو إلى عقد معاهدة تدعي بمعاهدة التافنة[3] بتاريخ 30ماي 1837 التي نصت في أهم بنودها :

_اعتراف الأمير بالسلطة الفرنسية على مدينة الجزائر وسهل متيجة، وعلى مدن وهران، مستغانم وارزيو.

_اعتراف فرنسا بسيادة الأمير على إقليمي وهران، التيطري عدا المناطق المذكورة أعلاه.

---

* - **بيجو** :هو توماس روبرت(1784-1849)من عائلة ارستقراطية تقيم في ليموج في مقاطعة دورانتي عمل في الزراعة التحق بالجيش1804 ترقى إلى عدة رتب عسكرية بفضل خبرته في الحروب خاصة الحروب الاسبانية أرسلته حكومة باريس إلى الجزائر سنة1836 خلفا للماريشال فالي،حارب عبد القادر في السكاك في 6جويلية1836 لكن الأمير انتصر عليه،كما عين حاكما للجزائر سنة1841الى1848 اشتهر بسياسة الأرض المحروقة،عاد إلى فرنسا وأصيب بالكوليرا1849 حتى توفي.انظر: (الكولونيل أسكوت ،**مذكرات** عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر(1841)،تر:إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981.).

[1]-البشير بلاح،**تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص135.

[2]-عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، دار الأمة للطباعة النشر، الجزائر 2009،ص332.

[3]-العربي منصور، **تاريخ المقاومة الجزائرية** في القرن 19 م، دار المعرفة، الجزائر2006، ص(156-157).

أما عن العوامل التي أدت بالأمير إلى اللجوء إلى السلم هي ضرورة التصدي للأقوياء بالعمل على الأقلية التركية والكرغلية والعمل على تأييد الأخرى له [1]هذه المعاهدة ستنجر عنها عدة انعكاسات على مسار الأمير عبد القادر،وعلاقاته الداخلية والخارجية، والتي ستاثر سلبا على مقاومته خاصة في علاقته بالسلطة التركية، وفي هذا ال سياغ لابد من إبراز علاقة الأمير بالسلطة التركية.

2 – موقف الأمير من السلطة التركية :

ظل الأمير عبد القادر ينظر إلى أتراك الجزائر على أنهم مصدر ما أصاب الجزائر من احتلال وتشريد وتقتيل[2]، بعد أن تيقن من ضعفهم السياسي والعسكري مع اتساع استقلالهم لطبقات الشعب الكادحة [3] .

كان الأمير يراقب ذلك عن كثب فقد عاين التصرفات الجائرة للحكام الأتراك عند إقامته في مدينة وهران عاصمة الغرب الجزائري، و أثناء تلقيه العلم بمدرسة أحمد بن خوجة عام 1820 [4] حيث مكث سنين لاحظ خلالها الفرق في المستوى المعيشي والاجتماعي بين الأتراك والجزائريين، كما شاهد المعاملة السيئة التي قوبل بها أبناء جلدته [5]، وقد إزداد عدائه للسلطة التركية إلى حد

[1]-Boualem Bessaih delouis Philipe à Napoléon. **Elamir Abdelkader** Vaincu mais ,Trimphont ,**Edition** Anel, p27

[2]– صالح فركوس، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي** (المقاومة المسلحة 1830 ــ 1962)،دار العلوم لنشر والتوزيع، الجزائر2012، ص32.

[3]–يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر رئيس الكفاح**، المرجع السابق، ص17.

[4]–ناصر الدين سعيد وني، **ورقات جزائرية** دراسات أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، در الغرب الإسلامي، الجزائر، 2000،ص340 .

[5]–أديب حرب، المرجع السابق،ص71.

معاداتهم وعدم الاعتراف بشرعية سلطتهم، ولعلى من أبرز الأسباب التي جعلت الأمير يقف هذا الموقف[1] نذكر منها :

-الصراع على الحكم والفساد السياسي حيث كان همهم الوحيد هو كسب الأموال والثروات وهذا ما طغى على السياسة التركية التي سلكها حكام أيالة الجزائر والاعتماد في فرض حكمهم على القوة الحربية والأساليب العسكرية وإخضاع سكان الأرياف لحكم البايلك ومتطلباته المالية الثقيلة [2] فرغم رابطة الدين فإن سلوك العثمانيين نحو الجزائريين جعلهم يشعرون بأنهم ليسوا من جنس واحد، وأن هناك العربي المحكوم أو الرعية، والتركي العثماني الحاكم[3].

-ولعل ما يفسر أيضا موقف الأمير من عدم الاعتراف بسلطة الأتراك هو أنه منذ عهد البشوات (1587 - 1659) تولى الحكم ثلاثون واليا كل منهم باش ا عينهم الباب العالي بالقسطنطينية، فتميز هذا العهد بالاضطراب والفوضى وتلاه عهد الأغوات (1659 - 1671) الذي لا يقل هو الآخر من الفوضى والمنازعات، 1830) ، فتسلطوا عن مختلف إدارات الدولة[4].

كما أن معظم الكتاب الجزائريين يصفون الحكام الأتراك بأنهم أتراك أعاجم ذلك أنهم كانوا دائما من خارج الجزائر، وكانوا أغلبهم لا يتكلم إلا باللغة التركية، لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط، فعملوا على سلب الأموال والثروات عن طريق الإرهاق بالضرائب والرشاوى، بل تعدوا على حرمات الأوقاف، وكانوا لا يسمحون للجزائري أن يقترب من النفوذ السياسي [5]باحتقار الأهالي والعمل على الاستبداد بالحكم دون أهل الوطن من سكانه الأصليين

---

[1]-صالح فركوس، المرجع السابق، ص32.

[2]-ناصر الدين سعيدوني ، **ورقات جزائرية**، المرجع الساق، ص23.

[3]-أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية** (1830 ــ 1900)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص(182-183).

[4]- أديب حرب، المرجع السابق،ج1، ص35.

[5]- أبوا القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** (1500 ـــــ 1830)، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص(14 ــ 15).

وإبعادهم من المناصب الرئيسية فقد جعل الأتراك المناصب والوظائف الحكومية العليا كل ها مقصورة على طوائف الإنكشارية [1]،حتى أنهم مكنوا طائفة اليهود من اقتصاد البلاد، ولا يوظفون الجزائري إلا في الوظائف الثانوية، ولا يساوون في تطبيق الأحكام الشرعي، بين المسلم الجزائري والمسلم العثماني، فعانى منهم الشعب الجزائري [2].

هذا ما جعل الأمير عبد القادر يتذمر من بقائهم في سدة الحكم، وأبدى معارضة لحكمهم.

ـ أما الموقف الثاني، هو عداء الحكام الأتراك ل لطرق الدينية، وقد تجلى ذلك في عهد الباي حسن الذي اتسمت سياسته بالعجرفة والترفع في تعامله مع شيوخ الزوايا والطرق الدينية، ومن بين رجال الزوايا الذين كان يتخوف منهم البايلك أسرة الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر والمنتسب إلى الطريقة القادرية التي ما فتئت مكانتها تزداد ونفوذها يتعاظم، ورغم التزام الشيخ محي الدين بالحذر من الحكام الأتراك إلا أن رجال البايلك وعلى رأسهم الباي حسن، كانوا يتحينون الفرصة للحد من نفوذ الشيخ محي الدين والإطاحة بأسرته ، وفرض غرائم مالية قدرت بـــخمسة آلاف ريال بيجو، ثم سمحت لهم الفرصة بحجز شيخ محي الدين لمدة عامين من طرف باي وهران[3] .

ـ ولعل من أبرز العناصر التي جعلت الأمير عبد القادر، ينظر إلى السلطة العثمانية نظرة عداء سببها موقفها من والده خصوصا من باي وهران حين منعه من السفر إلى الحج وضيق عليه وكان يخشى من تجمع الناس حوله [4]، فقبض عليه ووضعه تحت حراسة خاصة ومراقبة عسكرية شديدة و لم يطلق سراحه إلا بتدخل و الدته وزوجته [5]، ولعل إقدام حاكم وهران على هذا الصنيع كان

---

[1]–عبد الرحمان الجيلا لي، المرجع السابق،ص 87.

[2]–أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ص15.

[3]–ناصر الدين سيعيدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص339.

[4]–عمار قليل، المرجع السابق، ص48.

[5]–أديب حرب، المرجع السابق، ج1، ص74.

نتيجة انتساب عبد القادر إلى قبيلة هاشم العربية ومكانة أسرته الشريفة من منطقة غريس بالغرب الجزائري وخصوصا من رجال دين الطريقة القادرية، فحتى عند احتجازه بوهران ظل الناس يتوافدون عليه يعرضون عليه خدماتهم ويلتمسون دعواته، ونفس المكانة حظي بها ابنه عبد القادر [1]، لذلك كان إقدام الباي على احتجازهما تخوفا من قلب نظام الحكم العثماني بالجزائر[2].

– وثالث سبب من اسباب عداء الأمير للسلطة التركية هو تحميله للأتراك مسؤولية احتلال الجزائر حيث حمل الأتراك مسؤولية ما حل بالجزائر من ويلات الاستعمار، ففي الرسالة التي بعث بها إلى السلطان العثماني بتاريخ 26 ديسمبر 1838، والتي جاء فيها "إن يناشرية الجيش الإنكشاري الذين كانوا بالجزائر لما خرجوا عن طاعة والدك المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم العدو الغشوم، فبدر شملهم، واجتث أصلهم وملك القرى والمد اشر ...، وحال الكافر البحر بين المسلمين وبين سلطانهم [3]"،كما اعتبر فشل الداي حسين في مقاومة الاستعمار والتصدي له ورضوخه لشروطهم، فبمجرد استسلام الداي اعتبر أن الحكم التركي قد انتهى بالجزائر، بل عمل حتى على تغيير الأنظمة والقوانين التي كان العمل جاريا بها، فأبطل في دولته ي الامتيازات للأتراك وألغى ما كانت قبائل المخزن وجماعة الكراغلة تحظى به على حساب سكان المدن والأرياف وهذا ما عبر به للسلطان العثماني في الرسالة التي وجهها له، والتي أظهر فيها نقمته على تصرفات الأتراك وألقى بمسؤولية ما حل بالجزائر من ويلات على فرق الإنكشارية إذ ذكر قائلا:"...وما من مدينة من مدن الإسلام دخلها الكفار إلا كان الينا شرية هم دعائهم إليها ...، فذهبوا إلى تلمسان أي الكفار باتفاق الينا شرية الذين بها"[4].

---

[1]–ناصر الدين سيعيدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص339.

[2]–أديب حرب، المرجع السابق، ج1، ص74.

[3]–أحمد توفيق المدني، **أبطال المقاومة الجزائرية** ويليه جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009،ص(68–69).

[4]–عبد الجليل التميمي،**بحوث ووثائق في التاريخ المغربي** تونس ،الجزائر، ليبيا من 1816الى 1871، روبا متران، الدار التونسية للنشر ، ط1، مارس 1972، ص47.

ولعل أول مناسبة أظهر فيها عبد القادر موقفه صراحة من حكام الأتراك تعود إلى أواخر 1830 عندما عارض مد يد المساعدة للباي حسن حين طلب المساعدة من الشيخ محي الدين وعشيرته بعد نزول الفرنسيين بالجزائر، نظرا لتخوفه من هجوم القبائل الساخطة والمعادية له على مدينة وهران وضعف الحماية التركية له بها.

أما موقفه من بقايا الأتراك إثر الاحتلال، فقد حاول الأمير استمالة وكسب ود الكراغلة بمدينة تلمسان، فرفضوا ذالك ووقفوا معه موقفا عدائيا، وأعطوا ولائهم للسلطان المغربي ثم تحول ولائهم إلى السلطات الفرنسية المستقرة بوهران، و لم يستطع الأمير إخضاعهم لمهاراتهم الحربية، حتى أن أعيان كرا غلة تلمسان وجهوا رسالة إلى ملك فرنسا 26 جوان 1837 يشكون فيها من الأمير ويصفونه بسلطان البدو، وكان لهذا الموقف أثر سلبي على مخططات الأمير، ووقفوا حجر عثر في امتداد الأمير إلى الجهات الغربية للبلاد، فخرج لمباغتتهم عام 1838 على رأس قوة حربية من معسكره بالمدية، واستطاع استدراج جماعة كبير منهم، بينما ظل العديد من فرسانهم يرفضون مصالحة الأمير وكان يتزعم هذا الجناح المعادي القائد بيروم الذي نصبه الجنرال كلوزال وتمكن الأمير من إخضا عهم وأوقع العقاب ببعض زعمائهم مثل القائد بيروم، الذي قتله ليكون عبرة لغيره.[1]

2-2موقفه من الحاج أحمد باي قسنطينة:

الحاج احمد باي قسنطينة(1784-1856)هو أخر بايات الشرق الجزائري،استمر حكمه كباي منذ توليه من طرف الداي حسين عام1826م إلى غاية سقوط عاصمة بايلكه بقسنطينة يوم13اكتوبر 1837ليقود المقاومة المحتل الفرنسي إلى غاية استسلامه سنة1848،غير أن الشيء الجدير بالذكر أن الحاج احمد باي على اثر سقوط الجزائر العاصمة في يد المحتل نصب نفسه باشا كخليفة الداي حسين واعتبر نفسه الوارث الشرعي لحكومة الداي المنتهكة، كما اعتبر نفسه

[1]- ناصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية ،المرجع السابق،ص(139-140).

الممثل الوحيد للدولة العثمانية ورفض التفاوض مع الأمير و الاعتراف به[1]،وتكمن أهمية العلاقة بين الأمير عبد القادر وأحمد باي كونها تشكل نقطة ضعف في المقاومة الجزائرية، فالعلاقة بين الأمير وأحمد باي تحكمت فيها عوامل أدت إلى توتر العلاقة بينهما نتج عنها في بعض الأحيان وضعية مضرة بالمقاومة بل حتى أنها كانت عاملا مساعدا للاحتلال[2]،إذ لم يتفق الحاج احمد باي مع الأمير عبد القادر الذي كان يرى فيه داعيا متطاولا على السلطة مستعملا الدين كوسيلة للوصول إلى الحكم،وزاد من شك الحاج احمد باي في الأمير أن هذا الأخير قد وقع اتفاقات مع الفرنسيين(معاهدة ديميشال والتافنة)[3]،أن كانت من وجهة نظر الأمير انتصارا له، فإنها أخذت من وجهة أحمد باي خسارة كبرى [4]،فالأمير عبد القادر اغتنم فرصة إبرام معاهدة التافنة آخر ماي 1837ومد نفوذه وسيطرته على الشرق الجزائري في ثلاث ولايات برج حمزة (البويرة)،مجانبة (سطيف)والزيبان(بسكرة)[5]،ذلك أن الأمير حقق بهذه المعاهدة ما كان يبحث عنه بشق النفس،فقد جعلته القوة الوحيدة التي على العدو التعامل معها في الجزائر،وفتحت لها أبواب التعامل القنصلي والتجاري مع الفرنسيين، أما أحمد باي فقد اعتبرها عملا عدائيا ضده،ذلك أنها أطلقت يد العدو في الشرق الجزائري ليثأر لهزيمته السابقة [6]،وما زاد من سعة الشقة بينهما أن الفرنسيين كانوا يعملون على إثارة الرجل ضد بعضهما[7].

ويبدو أن الأمير عبد القادر تفطن للعبة فيما بعد وسعى لربط الصلة مع الحاج أحمد باي،لكن هذا الأخير رفض كعادته لأن الحقد بينهما تأصل،ويبدو من خلال توالي الأحداث أن مفهوم

---

[1]-رابح لونيسي وآخرون،**تاريخ الجزائر المعاصر**،المرجع السابق،ص(139-ـــ140).

[2]-يحي بوعزيز،**مع تاريخ الجزائر** في الملتقيات الوطنية والدولية،دار البصائر لنشر والتوزيع، الجزائر2009،ص201.

[3]-ابو القاسم سعد الله،**محاضرات في بتاريخ الجزائر بداية الاحتلال**،عالم المعرفة ودار الرائد،الجزائر،2009،ص146.

[4]-ابو القاسم سعد الله،**الحركة والوطنية**،ج1،ص181.

[5]-يحي بوعزيز،**مع تاريخ الجزائر**،المرجع السابق،ص382.

[6]-ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**،ج1، المرجع السابق،ص(181-ـــ182).

[7]-ابو القاسم سعد الله،**محاضرات في تاريخ الجزائر**،المرجع السابق،ص146.

التعاون والتنسيق لدى كل منهما يعني الخضوع،فأحمد باي يعتبر نفسه الوريث الشرعي لحكومة الداي حسين[1]،فقد كان يرى ضرورة المحا فضة على البايلك بالعمل على ربط الجزائر بالدولة العثمانية رغبة منه في الحفاظ على سلطته[2]،ومن هذا المنطلق كان يرى ضرورة خضوع الأمير له.

أما الأمير فقد تسلم الإمارة والسلطة عن طريق البيعة،فكان يرى ضرورة خضوع أحمد باي له،ومع ذلك وقع معا في خطأ فادح –و لم يستوعبا الظروف التي تستوجب التعاون مادام العدو،والخطر واحد والمصير واحد–ووفر للعدو كل الفرص ويضرب هذا بذاك.[3]

وفي هذا الصياغ التاريخي تظهر شخصية بارزة في تاريخ الجزائر في العهد العثماني هو حمدان بن عثمان خوجة الذي حاول التنسيق بينهما، فحث كل منهما على تشكيل جبهة واحدة أمام العدو المشترك،لكن أحمد بايحسب المؤرخين كان يرفض هذه الوحدة كلما عرض الأمير للأسباب السالفة الذكر[4]،و لم يبدي اي مبادرة للاتصال بالأمير عبد القادر.

2–3موقف الأمير من الباب العالي باسطنبول:

مما سبق التطرق إليه حول علاقة الأمير عبد القادر بالحاج أحمد باي يتضح أن لعلاقة هذا الأخير بالدولة العثمانية دخل في عداء الدولة العثمانية للأمير،وهذا العداء يرجع في أساسه إلى السياسة غير الواقعية التي كانت تنتهجها الدولة العثمانية وترمي من ورائها إلى تحقيق اتفاق مع فرنسا تضمن لها إعادة الجزائر إلى حظيرة النفوذ العثماني[5]،لذلك نجد الباب العالي يحتج على الأمير لعقده معاهدة التافنة بواسطة سفيره بباريس الذي أمره بعرقلتها، لأن الأمير في نظر الدولة

---

[1]–يحي بوعزيز،**موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب**، ج1،دار الهدى،الجزائر،2009،ص424..

[2]–يحي بوعزيز،**مع تاريخ الجزائر**، المرجع السابق،ص102.

[3]–يحي بوعزيز،**موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب**، المرجع السابق، ج1،ص424.

[4]–Saleh farkous , aprçu surl'hsttoir de de l'algerie des phèniciens al'indèpendance 814 a.v.j.c/ 1962, traduit par benamour salah , dar el- ouloum ,2007 ,p (173 – 174).

[5]–يحي بوعزيز،مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق،ص113.

العثمانية،يعتبر أحد رعايا السلطان،وأن إمضاء أي معاهدة لابد أن يكون بين الحكومتين العثمانية والفرنسية، لا بين الأمير وفرنسا،إلا أن الأمير بعد نقض معاهد التافنة، واستئناف الحرب بينه وبين المحتل،ولما ضاقت به السبل وجه الأمير رسالة إلى الحكومة باسطنبول يدافع فيه عن نفسه ضد مآخذ واتهامات الحجاج احمد باي بشأن علاقته بالفرنسيين إذ صرح قائلا:"لم أكن متفقا مع الفرنسيين،إذ لم يقع ذلك البتة،وحسب مبادئ الإسلام يسمح باستعمال الحيلة معا لعدو،وهذا ماقمت به تجاه الفرنسيين ويقصد بذلك معاهدة التافنة"[1].

لقد كانت رسائل الأمير تعكس شدة قلقه وضيق صدره لما وصل إليه حاله وحال المسلمين من حوله[2]، لقد كان الأمير لا يعي ضعف الدولة العثمانية،بل كان يرى في السلطان السلطة العليا التي تشد أزره،وتمنحها لإعانة الضرورية لمواصلة الجهاد،ويرى أن الباب العالي المسؤول عن حياة المسلمين وتضحياتهم الجسيمة التي تكبدوها،و لم يحرك ساكنا و لم يقدم له المساعدة،واكتفى الباب العالي ممثلا بالسلطان العثماني أن طلب من حمدان خوجة تحرير رسالة إلى عبد القادر راجيا منه مواصلة الكفاح ضد الفرنسيين،وألا يعقد أي معاهدة مع أعداء الدين، وأن يحث المسلمين على الجهاد الذي هو واجب مقدس على كل مسلم.[3]

لقد كان سلاطين بني عثمان في غفلة من الزمن لم يبق لهم من الإسلام إلا الشعارات والطقوس، و لم يبق لهم من لغة القرآن إلا العبارات الدينية التي تقال في المناسبات،بل لم يبق لهم من القوة إلا التأمر على بعضهم البعض،فمن أين لهم نجدة عبد القادر و لم ينجدوا حتى غرقهم في نفارينوا.[4]

[1]-عبد الجليل التميمي، المرجع السابق،ص45.

[2]-صالح فركوس، المرجع السابق،ص43.

[3]-عبد الجليل التميمي،المرجع السابق،ص(51ـــ52).

[4]-ابو القاسم سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي**،المرجع السابق،ص51.

3 – الضعف والاستسلام:

لقد كانت الفترة الممتدة من 1839 إلى 1847 حاسمة في مقاومة الأمير وكفاحه خاصة بعد نقض معاهدة التافنة، فرغم أن الأمير كان في حاجة إلى السلم لتحقيق تنظيم جديد من مؤسسات الدولة ولضمان التموين لها، ولأنه كان في حاجة ماسة إلى فترة سلام وهدوء لتدعيم مركزه السياسي والعسكري في الداخل، وإن كانت معاهدة التافنة قد وفرت للأمير السلام، فقد وسعت دولته إقليميا واقتصاديا، كما أنا هذه المعاهدة وفرت للاستعمار مكاسب كان أهمها وصول إعدادات جديدة للجيوش والعتاد العسكري، وإعادة تنظيم الكثير من الوحدات العسكرية وتدريبها على حرب العصابات والكمائن لمواجهة جيش الأمير [1]، وحين وجدوا مبررا بالعودة إلى الحرب، قام الجنرال فالي الحاكم العام للجزائر بتقديم مشروع معاهدة جديدة تتضمن امتيازات للفرنسيين مثل تعديل الحدود الشرقية بشكل يمكنهم من ضم كل من إقليم قسنطينة إليهم، وإباحة المرور لهم في أراضي الأمير بين آرزيو مستغانم وفرض الرقابة على استيراد الأمير للأسلحة، ومن الطبيعي أن يرفض الأمير هذه الشروط لأنها نقض صريح لمعاهدة التافنة[2].

3_1نقض معاهدة التافنة وتجدد القتال :

بينما كان الأمير على هذا الحال من البناء والتشييد إذا بالفرنسيين يعمدون إلى نقض المعاهدة بما لديهم من أباطيل وأكاذيب وطرق ومغالطات لفظية [3]حيث قام الجنرال بيجو بمطاردة جيش الأمير والتنكيل بالقبائل الموالية له، واتبع سياسة الأرض المحروقة لإرهاب أتباع الأمير مما جعلهم يرتكبون جرائم فضيعة [4]،وركز الفرنسيون كل قواتهم وجنودهم ضدهم فانتزعوا منه عاصمة

---

[1]–بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص(134–135).

[2]–يحي بوعزيز، **ثروات القرن التاسع عشر**،دار الهدى ،الجزائر،2009 ، ص(46–47).

[3]–يحي بوعزيز، **الأمير بطل الكفاح**،المرجع السابق، ص42.

[4]- بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق،135.

معسكر ومعظم مدن الناحية الغربية مثل تلمسان،سعيدة وتاكدامت[1]،وهكذا كان نقضه للمعاهدة عندما عبر الجيش الفرنسي أراضي دولة الأمير دون إذن منه[2].

وأمام جرائم الاستعمار وحماقاته اجتمع مجلس حرب الأمير وبحضور كبار مستشاريه وقادة جيشه وقرروا بالإجماع الرد على الاعتداء الفرنسي تحت قيادة الأمير الذي اصدر البيان التالي:"إن الفرنسيين المعتدين على البلاد الإسلامية بعدما عاهدناهم وسالمناهم نكثوا وجالوا في بلادنا وعاثوا،ومن نكث فإنما ينكث على نفسه،ومن المعلوم إن التهاون في مثل هذا الأمير والإغضاء عنه يزيدهم طغيانا واعتداءا علينا فلذلك اجتمعنا في مجلس عال بحضور سيدنا المعظم ومولانا المفخم ناصر الدين عبد القادر بن محي لدين -نصره الله- لأجل المذاكرة في هذا الأمر المهم،والخطب الملم،فوفقنا الحق تعالى جلاله للجواب،وألهمنا جادة الصواب، واتفقت كلمتنا على إعلان الجهاد،والقيام بالمواجهة على أكمل استعداد وقد بايعنا حضرة أميرنا إلى الوفاء بواجبات الجهاد الشرعية، وعقدنا تلك النية، حررنا هذا الصك ليكون شاهدا علينا فيما ذكرناه...".

بعد هذا الإعلان الرسمي من دولة الأمير تم استئناف المقاومة ضد الاحتلال[3]،وامتدت إلى عدة جهات كما انتقلت بين عدة مناطق واستعمل خلالها الحرب النظامية وحرب العصابات،إلى حين وقعت معركة كبيرة بسيدي إبراهيم،أبلى المجاهدون فيها بلاءا حسنا،انتهت بانتصار الأمير سياسيا وعسكريا، وجرح فيه الكثير من قوات بيجو [4]،غير أن تصميم فرنسا على وضع نهاية لدولة الأمير فتكالبت عليه،في هذا الوقت شرع بيجو في تطبيق سياسته الجهنمية الخاصة بالأهالي وعمل كل ما في وسعه لزرع بذور العار أوساط السكان، كما استعمل ضد الأمير الطوابير المتحركة وألحق به إصابات عديدة، وقد بدأت قلاع الأمير تسقط الواحدة تلوى،فانسحب الأمير من الونشريس

[1]-يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر بطل الكفاح**، المرجع السابق، ص43.

[2]-رابح لونيسي وآخرون،المرجع السابق،179.

[3]-بشير بلاح وآخرون،المرجع السابق،ص135.

[4]-محمد الطيب علوي، المرجع السابق،ص57.

وانشأ عاصمته الثانية الزمالة المتنقلة عام 1841 [1]، لكن العدو تمكن منها مرة أخرى في 16ماي 1843 وهو غائب عنها يؤدي رسالة الجهاد،وأظهر الفرنسيون في هذه الواقعة من الوحشية وفيها استشهد الخليفة محمد بن علال الذي أبدى شجاعة في المعركة [2]،ضاق حال الأمير بعد اختلال ميزان القوى وبات واضحا له أن مقاومته تتعرض لتقلص والانكماش والاختناق وظل الأمير يحث الناس على الجهاد لكن هل من مستجيب قليل من هم، كذلك صال الاستكبار وجال حين وجد من تعاون ضده، لقد عبرت رسالته شرق البلاد وغربها، وجنوبها وشمالها بل عبرت حتى الحدود الجزائرية، وهو يحث أهل فقيق وتقرت على الجهاد بقوله"أما بعد فان الغيرة الإسلامية تحق لأمثالكم والاغتباضات الأنفية تجب على أقوالكم وأفعالكم...كيف لا والعدو الكافر جال في بلاد المسلمين وصال، وسعى في خراب مدنهم وقصورهم بمساجدها المعدة للغدو والآصال...، واجمع عزمه وكيده في جميع بره،وفاض على ضوء الإسلام ظلام ليله،حتى كاد يخفي جدول فجره..."، وفي منشورات وجهها الأمير إلى أهالي الشرق الجزائري(سطيف ونواحيها) يحثهم على أيضا على الجهاد، والبعد عن التجارة مع الكفار،ويذكرهم بان العدو قد وعدهم احترام الدين والنساء والأرض ولكنه خان وعده.[3]

لم يفوت الأمير على نفسه أي فرصة لمحاربة العدو لمحاربة العدو،لكن الضربات التي تلقاها كانت مميتة وكان دائما على الأمير أن ينسحب،وفي نفس الوقت الذي كان يفكر أن ينسحب فيه أدرك بأنه إذا كان قد يئس من الإقليم الشرقي فان الإقليم الغربي يشكل ملاذا له،واتجه بجنوده إلى الغرب مما حمل الفرنسيين على ملاحقته حتى الحدود متسببا في قيام حرب بين المغرب وفرنسا.[4]

---

[1]-بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق،ص136.

[2]-يحي بوعزيز، **الأميرعبد القادر بطل الكفاح**، المرجع السابق،ص43.

[3]-ابو القاسم سعد الله،**الحركة الوطنية**،ج1،المرجع السابق،ص(276،277).

[4]-كاتب ياسين،المرجع السابق،ص25.

3- 2الاستنجاد بسلطان المغرب:

لم يستطع الأمير مواجهة الجيش الفرنسي الضخم الذي يفوقه عددا وعدة ويملك أسلحة متطورة،فلجأ الأمير إلى التنقل بين المناطق واضطر إلى الانسحاب إلى المغرب الأقصى طالبا من سلطانها عبد الرحمان بن هشام* مساعدته محذرا إياه من سقوط الجزائر لأن ذلك يؤدي إلى سقوط المغرب الأقصى وبلدان إسلامية كثيرة تحت السيطرة الاستعمارية[1]،ولم يرتح العدو لوجود الأمير في البلاد المغربية التي رحب به أهلها، ورأى في ذلك خطرا يهددهم[2]،وكعادته قام الجنرال بيجو بإثارة البلبلة والشكوك في الأوساط المغربية بالتجسس تارة وبزرع الفتنة تارة أخرى،ففي تقرير للقنصل الفرنسي بطنجة للوزارة الخارجية بتاريخ10جانفي 1842،أن هذه الحالة-اللجوء- أثر عميقا،وان وجود الأمير هنا يجر إلى عواقب لا يمكن تقديرها وهو ما دفع بالسلطان المغرب بلصدر ظهير رحماني إلى عماله في شهر جويلية 1842 يمنع فيه المغاربة من إقامة أي علاقات مع الجزائريين[3]،خاصة عندما هددت السلطان المغربي باحتلال بلاده،بعد قصف أغادير بالقنابل مما دفع إلى عقد اتفاقية مع الجنرال بيجو1844يقضي بشن حرب على الأمير[4]،ورغم التأييد الكبير الذي لقيه الأمير من الشعب المغربي، إلا أن السلطان المغربي لم يعجبه هذا اللجوء وقد زاد خوفه من البطش

---

* - **عبد الرحمان** :هو عبد الرحمان بن هشام سلطان الدولة العلوية بالمغرب حكم خلفا لعمه سليمان بن محمدمن(1822-1859) تميز عهده بإمضاء عدة معاهدات مع الدول الأوربية لغير صالح المغرب،وحاول التدخل في شؤون الناحية الغربية اثر سقوط الجزائر تحت الاحتلال،ناصر عبد القادر ثم تخل عنه وحاربه خاصة بعد انهزامه في معركة ايسلي1844واضطر إلى توقيع -معاهدة مغنية التي نصت على غلق الحدود المغربية في وجه المقاومين الجزائريين والامتناع عن تقديم أي إعانة للأميرانظر:(عبد الله العلايلي وآخرون،**المنجد في اللغة والأعلام**،ط43 دار المشرق، بيروت،2008،ص371.).

[1]-رابح لونيسي وآخرون،المرجع السابق،ص180.

[2]-يحي بوعزيز،**الأمير عبد القادر رائد الكفاح**، المرجع السابق،ص61.

[3]-قاصري محمد السعيد،**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر** (1830-1962)،دار الارشاد،الجزائر،2013،(49-50).

[4]-لاغة خليفة،الأمير عبد القادر حقائق وشبهات، **مجلة أول نوفمبر**،مجلة فصلية تاريخية، ثقافية،سياسية،جويلية2010م الموافق ل رجب1431ه،العدد174،ص67.

وانتقام فرنسا التي هددته بالعقاب [1]،لأن الفرنسيين كانوا في نفس الوقت يركزون قواتهم على المغرب مما الحق بجيوش السلطان هزيمة نكراء في واقعة ايسلي اوت1844بين الجيش الفرنسي والمغربي مما أدى بالسلطان المغربي إلى توقيع معاهدة طنجة في 10سبتمبر1844، وقد حاول الأمير الاتجاه إلى الجنوب في الوقت الذي كان فيه بومعزة يقود حركة ثورية في منطقة شلف و الونشريس،واتجه إلى المغرب عن طريق فغيغ ،لكن مولاي عبد الرحمان فرغم انه لم يكن في نيته استئناف القتال لأنه كان مكبلا بمعاهدة طنجة فاضطر إلى إخطار الأمير بمغادرة دولته والاتجاه ثانية إلى الجنوب [2]،لخوفه من انتقام فرنسا،ولم يكتفي بهذا بل راح يوجه إنذاره للأمير بالاستسلام إليه شخصيا-إلى السلطان عبد الرحمان-،وإما، العودة إلى الصحراء الجزائرية وفي حالة الرفض أو التأخير يزحف الجيش السلطاني ضده[3].

وقد راسل الأمير علماء مصر يستفتيهم حول موقف السلطان عبد الرحمان وموقفه حول التحالف مع العدو ضده، وقد رد عليه الشيخ "عليش" مفتي المالكية بالديار المصرية بأن السلطان يعتبر خارجا عن قواعد الدين، وأن أوامره من أجل ذلك لا تطاع،بل تجب مقاومته مع الكفار[4]،وأعلن سلطان المغرب الحرب على الأمير،واستحال على الأمير متابعة جهاده لقلة عدته واشتراك القوات الفرنسية والمغربية، إضافة إلى وصول الدوق دومال الى مركزه الجديد وطلبه من السلطان عبد الرحمان تكثيف عملياته العسكرية ضد الأمير وعين لهذا الغرض قادة جدد مثل لامورسير في وهران وبيدو في قسنطينة،وقرر سلطان المغرب مؤازرة القوات الفرنسية وجهز له 50الف مقاتل[5]،وقدحاول الأمير أن يبصر القائد المغربي باللحمر ويحذره من مغبة ما يقوم به،فكاتبه مرتين، وأوضح له بأنه يصعب عليه هو ورفاقه في هذه الظروف الصعبة أن ينسحبوا للصحراء لأن

[1]-بشير بلاح وآخرون،المرجع السابق،ص136.

[2]كاتب ياسين،المرجع السابق،ص26.

[3]- بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق،ص136.

[4]-ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**،ج1،المرجع السابق،ص271.

[5]-اديب حرب، المرجع السابق ج1،ص(269-270).

المنطقة كلها محاصرة من طرف القوات الفرنسية، وإمكانيات المجاهدين المادية ضئيلة، لكن القائد المغربي أصر على استعمال القوة، فدفع حياته ثمنا لذلك إذ تمكن الأمير من قتله.

لقد كانت ظروف الأمير تسير من سيء إلى أسوأ، وكان موقف سلطان المغرب المعادي هو أخطر ما تعرض له الأمير في هذه المرحلة من كفاحه،حيث ركز قواته على طول الحدود الجزائرية المغربية وكلف حاكم وجدة المغربي بتركيز قوات كبيرة في الجنوب لتحول دون استجابتها إلى الصحراء،وجهزت قوات مغربية أخرى من المغرب قادها ابنا الملك محمد واحمد في نهاية العام، وحوصر الأمير ودائرته في الوسط [1]،ووجدت دولة الأمير الفتية نفسها معزولة عن المجتمع الدولي بسبب الطوق الأوربي الصليبي ضد الإسلام والمسلمين،وفي مواجهة جيش كبير من المرتزقة مسلح لا طاقة له به،وكثرة الخيانات، والنقص الفادح في الأرزاق والعيش والسلاح، مما أدى إلى استسلام شقيقي الأمير مصطفى والسعي د*والخليفة بن سا لم*بينما قتل خليفة الأمير البوحمدي مسموما بالمغرب[2].

3-3الاستسلام وطلب الاستئمان:

كان هذا هو الواقع الذي أعلن فيه الأمير الجهاد،فقاتل قتال الفارس يكر ويفر، ويضرب يمينا وشمالا ينصب الكمائن ،وهو في كل الأحوال يشغل العدو، ويوقع فيه أفدح الخسائر إلى الدرجة التي استدعت قدوم مزيد من النجدات للعدو،واستمرت المعركة أكثر مما يتوقع كل القادة

---

[1]-يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**،المرجع السابق،ص293.

* **سعيد:**سيدي محمد السعيد شقيق عبد القادر وكبير أولاد محي الدين يقال بأنه لم يشترك بأي معركة قتالية قادها الأمير ضد الفرنسيين ورث ملك والده في مسقط رأسه بالقيطنة.انظر:(أديب حرب، المرجع السابق،ص51).

* **بن سالم:** احمد بن سالم: ينتمي إلى أسرة عريقة من المرابطين في منطقة القبائل،من زعماء المقاومة تحت لواء الأميرعبد القادر عينه الأمير كخليفة عل تلك المنطقةفي1837،وظل يحارب تحت إمرته مدة عشر سنوات،وفي 1847 سلم نفسه للفرنسيين عند استحالة مقاومتهم فرحل إلى دمشق حتى توفي1858.انظر: (أديب حرب،المرجع السابق،ص240).

[2]-بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق،ص(136-137).

العسكريين يومذاك أطالها الأمير بعزمه الدؤوب،وفي النهاية وجد الأمير بعين الوعي العميق وتحمل المسؤولية التاريخية أن الجولة انتهت بينه وبين الفرنسيين، فقد سيطروا على كل مواقعه، والسلطان يتابعه،ولا بد إن تنتهي الجولة لقد قدر الأمير الظروف العامة والخاصة فقرر أنه لا إمكانية على الإطلاق للمواصلة، فالهزيمة شاملة في كل مكان أمام الهجمة الغربية،وقد فعل كل ما يستطيع[1].

وبعد تضحيات جسام في الأرواح والعتاد وتحت نيران الخيالة اتجه عن طريق ملوية نحوى التراب الجزائري حيث كان لاموريسير يرصده وسرعان ما تم حصاره فتشتت دائرته التي كانت في البداية تتألف من4000 جندي، و لم يبقى معه سوى100من المخلصين له،ولقد كان بإمكانه الفرار لكنه لم يرد التضحية بمن بقي معه [2]،حينما لم يبق للأمير إلا التفاوض مع لاموريسيار قائد جيوش الاحتلال في الغرب لجزائري،فتم التوصل بين الطرفيين مبدئيا إلى وقف إطلاق النار والسماح له ولإتباعه بالهجرة إلى المشرق.له

وقبل الموافقة على الاتفاق جمع الأمير مساعديه وخطب فيه قائلا:"لا أرى إلا التسليم لقضاء الله والرضا به،ولقد أجهدت نفسي في الدفاع عن الدين والبلاد، وبذلت في طلب راحتي الحاضر منها والباد،وذلك من حين اهتز غصن شبابي،وافتر عن شباة الهند بابي،وأقمت على ذالك ما ينيف على سبع عشر سنة،أقتحم المهالك،وأملا بالجيوش الجرارة الفجاج المسالك،استحقر العدو على كثرته،واستسهل استصابته،وأتوغل غير خائف أوديته وشعابه،وارتب في طريقه الرصائد،وانصب له فيها المكائد والمصائد،وتارة انقض عليه انقضاض الجارح،وأخرى اصب عليه انصباب الطير على المسا ريح،وكثيرا ماكانت أبيته فأفنيه،واصحبه فابرد غليلي منه اشفيه، ولازلت في أيامي كلها أرى المنية ولا الدنية، وأشمر على أقوى ساعد وبنان،وأقضي حق الجهاد بالمهند

[1]-صالح عوض، المرجع السابق،ص(131-132).

[2]-كاتب ياسين،المرجع السابق،ص27.

والسنان،إلى أن فقد المعاضد والمساعد...،و الا بلغ السيل الزبى والحزام الطيبين، فسبحان من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه، وكل شيء بائد[1].

ولما كانت الرياح تجري بم لا تشتهي السفن،و الأقدار تجيء عكس المأمول،والأيام تحفظ بما لم يكن في الحسبان،وعوادي الزمن تضافرت كلها على عكس التيار التحرري،يضاف إلى ذلك التيار ظروف البلاد المخزية ووضعيتها الشائكة المضطربة التي كانت هي الأخرى مما أعان على تدهور الأمور وانفكاك الأحوال،وبالتالي فان مجهودات الأمير الحربية والسياسية والاجتماعية،لا نقول أنها منيت بالفشل أو ذهبت أدراج الرياح،وإنما نقول أنها توقفت لربما تعود من جديد وعلى اشد ما تكون.[2]

وبتاريخ 27 دسمبر1847 وبحضور الدوق دومال الحاكم العام الجديد، وبالضبط في الغزوات وقعت وثيقة الاستسلام، [3]فخابر الجنرال لامورسير في الأمر وجعل الاتفاق على التسليم بشروط منها:

-أن يحملوه مع جميع عائلته إلى عكا أو الإسكندرية.

-أن لا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط أو العساكر.

-أن الذي يبقى منهم في الوطن يكون أمنا على نفسه وماله.[4]

لم يستسلم الأمير إلا بعد أن تم تنفيذ شروطه،وإذا لم تقبل فرنسا بهذه الشروط فانه سيجاهد حتى الموت[1].

---

[1]- بشير بلاح وآخرون،المرجع السابق،ص137.

[2]-يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر بطل الكفاح**،المرجع السابق،ص45.

[3]-بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق،ص137.

[4]-يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر بطل الكفاح**،المرجع السابق،ص45

وعندما وصل إلى مقام سيدي برا هيم الذي انتصر فيه منذ عامين على الجيش الفرنسي وهزم شر هزيمة، وفي ذلك المكان وجد في انتظاره الدوق الدومال ابن الملك،والجنرال ين لامورسير وكافيناك،وغيرهم من الأعيان فسلم نفسه وردد شعرا جادت به قريحته وفاضت به نفسه فقال:

قلدت يوم البين جيد مودعي دورا نضمت عقودها من ادمعي

وحدا بهم حادي المطايا فلم أجد قلبي ولا جلدي ولا صبري معي

ودعتهم ثم انثنيت بحسرة تركت معلم معهد كالبلقعي

ورجعت لازدري الطريق ولا تسل رجعت عداك المبغضون لمرجعي

يا صاح، ع:وأنصت لأخبار الهوى حاش لمثلك أن يقول ولا يعي

أني احدث بالهوى بغرائب وعجائب حتى كأني الأصمعي

يانفس قد فارقت يوم فراقهم طيب الحياة ففي البقاء لا تطمعي

وبعد ثلاثة أيام مضت كلها في أحكام عقد التسليم وتنظيم الشروط اللازمة لحفظه وحفظ حاشيته، وسائر أتباعه، سواءا من رغب في الهجرة معه، أو من فضل البقاء في البلاد .

بعد كل هذا توجه الأمير إلى مرسى الغزوات أين تنتظره البارجة الحربية الفرنسية،وفي المرسى قدم سيفه لابن الملك ثم صعد البارجة هو وصحبه،وأقلعت بهم لتمخر عباب البحر وتشق طريقها في وسط أمواج متلاطمة.[2]

[1]-رابح لونيسي وآخرون،المرجع السابق،ص180.

[2]-يحي بوعزيز،**الأمير عبد القادر بطل الكفاح**،المرجع السابق،ص(45-46).

شاء الله أن تكون لكل بداية نهاية،وكان هذا هو واقع الأمير فقد أعلن الجهاد وقاتل قتال الفارس يكر ويفر،يضرب يمينا وشمالا ،ينصب الكمائن ويضرب المؤخرات ،وهو في كل الأحوال يشغل العدو ويوقع فيه أفدح الخسائر إلى درجة استدعت قدوم مزيد من النجدات للعدو في معركة بطولية للاحتلال الفرنسي لمدة15عاما،وهذا 1832م-1847م أصبح الأمير لمدة أكثر من قرنين رجل إلى مؤسس للدولة الجزائرية الحديثة[1]،واستمرت المعركة أكثر مما يتوقع كل القادة العسكريين يوم ذاك،أطالها الأمير بعزمه الدءوب رغم فشله في أن يشرك السلطان ،أو باي تونس التعيس في الجهاد ،أو أن يتحقق نهوضه على مستوى مسؤولية الخلافة. الأمير بعين الوعي العميق وتحمل المسؤولية التاريخية أن الجولة انتهت بينه وبين الفرنسيين فقد سيطروا على كل مواقعه،والسلطان يتابعه وأخيرا هاهو يقع في كمين رغم أنه حاربهم حرب الفارس فلابد أن تنتهي الجولة ،وشاء القدر أن تنتهي بهزيمته فيسلم لقضاء الله وقدره فيعطي سيفه وفرسه للدوق دومال، فما الذي يمكن أن يفعله الأمير الدخول في عملية انتحارية قد تنتهي بمزيد من التشنيع الفرنسي فيمن يتبقى خلفه فقرر أنه لا إمكانية على الإطلاق لمواصلة [2]،وصدق كلامه إذ قال:"...بلغ السيل الزبى،والحزام الطيبين ،فسبحان من لا يكيده كائد،ولا يبيد ملكه ،وكل شيء بائد"،بهذه الكلمات الجارحة ،طوي الأمير صفحة مقاومته[3].

ليعيش الأمير مرحلته الأخيرة،مرحلة متميزة ثرية بخصوصياتها،وأحداثها ودلالتها هي تلك الفترة التي قضاها في ديار الغربة أسير فرنسا ومجاهدا محتسبا في بروسه ودمشق.[4]

[1] -Redoune ainad tabet , **histoir d' algerie**, sidi bel – abbes de la colonisatio a la guerre de libèration en zone 5 wilaya 7 (1830- 1962) , eng, 1999k p,53

[2] -صالح عوض،المرجع السابق ،ص(131،133).

[3] -محمد الطيب علوي، **مظاهر لمقاومة الجزائرية**(1830-1962)،ط2،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،الجزائر ،ص57.

[4] -ناصر الدين سيعيدوني،**عصر الأمير عبد القادر**،مج15 ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر2012،ص156.

1-ظروف انتقاله إلى القسطنطينية وإقامته فيها:

في 27ديسمبر سلم الأمير نفسه بعدما قبل القائد لامورسير بشروطه فقد وعدته الحكومة الفرنسية على لسان دومال بأنه سيتم قيادة الأسير إلى أرض مسلمة عكا أو الإسكندرية كما هو ذلك[1]،في المكتوب الذي أرسله من زاوية أبي تشيش اليزناسي والذي جاء في مضمونه بعد الحمد على الله والصلاة على رسوله الكريم:"أننا عزمنا على النواحي الشرقية نحن ومن وافقنا من رفقتنا منك الأمان والاتمان أن نروح إلى الشرق فنحبك أن تبعث لنا مكتوب بخاتمك،وأن، تضمن لنا ذلك،ركوبنا من مرسى الغزوات ولا تميل بنا يمينا ولا شمالا إلى إن نصل إلى الإسكندرية أو عكا وأن تعطينا على ذلك كلمة فرنسيسية [2]،فأجابه بعد تعظيم الحاج عبد القادر قائلا:"انه وصلنا مكتوبك وعلمت ما فيه،وعلمت ما فيه وقبلت جميع ما أردت أنت نفسك،ولرفقتك بل ولأي موضع أردت الخروج نوصلك إليه"[3]،ويقول الأمير:"سافرنا في المركب"البابور" الذي أتينا فيه رفقة لامورسير وكثير من أكابر فرنسا،وفي الصباح يوم السبت كنا في وهران وفي المرسى أبدلونا مركبا أخر،وأعطي دومال مكتوب من عنده للقنصل الذي بالإسكندرية ليستوصي بنا خيرا وزيادة على ذلك ستة ألاف فرنك أرسله للسيد ليكون بها وعين معنا ترجمانه الرئيس السوس العاقل روسو".[4]

---

[1]-نور الدين مسعودان، **أعلام الجزائر**، دار نون لطباعة والنشر والتوزيع،(د.م.ن)،2016،ص34.

[2]-كاتب ياسين،**الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر**،تر:محمد هناء،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1984،ص27.

[3]-الأمير عبد القادر، **مذكرات الأمير عبد القادر**، تح:محمد صغير بناني وآخرون، ط7،دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2010،ص176.

[4]الحاج مصطفى بن تهامي، **سيرة الأمير وجهاده** ،تح:وتع: وتق:يحي بوعزيز،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر ، 2008 ص(175-176).

1-1الأمير في سجون فرنسا:

ومضى الأمير وما كاد يصل حتى وجد نفسه وعائلته وحاشيته في طولون في قيود،لقد فرضت فرنسا الإقامة في قلعة لامق [1] واحتج الأمير على ذلك ،حيث جاء في كتاب مذكرات الأمير قوله :"وما هذا كان يبلغنا عن هؤلاء في القديم والحديث

لقد كانت كلمتهم يتمثل بها الناس ويقولون: "كلمة فرنسيسية"،وهم معلومون بين أجناس النصارى كلهم بوفاء العقود وإتمام العهود وعدم نقض المواثيق، فما هذا الذي نرى ؟"[2].

ولما احتج الأمير على ذلك قيل له بأن بعض الوقت مازال ضروري للحصول على جواب من الحكومة التركية إذا كان سيذهب عكا أو من الحكومة المصرية إذا كان سيذهب إلى الإسكندرية.

في اليوم التالي جاء الجنرال دوماس [*] مكلفا رسميا من الملك الفرنسي يتقدم له بأسخى العروض إذا رضي أن ينسى الوعد الذي أعطاه له الجنرال لامورسير والدوق دومال عند الاستسلام [3]، حيث عرضت عليه إقامة فخمة وقصرا ملكيا وحرس شرفي وكل امتيازات النفخة

---

[1]-بسام العسلي،**الأمير عبد القادر الجزائري**،دار الرائد ،الجزائر،2010،ص155.

[2]-الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص193.

[*] - **دوماس**:ولدفي عام 1802وتوفي مابين (1870-1871م)من الضباط الذين ارتقوا إلى رتبة جنرال بفضل محاكمتهم لعبقرية الأمير عبد القادر شارك مع كلوز يل في الهجوم على مدينتي معسكر وتلمسان وعين كقنصل عام لدى الأمير عبد القادر مابين(1837-1839)اهتم بشؤون الأهالي لمنطقة وهران بين (1844-1847م)له عدة منشورات حول وضعية المجتمع الجزائري حيث كان مطلعا على اللغة العربية.انظر(محمد بن أحمد ياغي ،**أسئلة الجنرال دوماس حول وضعية الأسرة المسلمة بالجزائر** في أعمال الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية،عدد خاص،دار الحكمة،الجزائر،2001،ص39.

[3]-هنري تشرشل ،**حياة الأمير عبد القادر**،تر وتق ابو القاسم سعد الله،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص251.

والمركز [1] لكنه رفض قائلا :"لو كنت ستأتي باسم ملك بكل ثروات فرنسا ملايين وألماس،وكان وكان يمكنك أن تضعها جميعا في طرف برنسي فإنني أفضل أن أرمى بها جميعا في البحر، على أن أعيد إليكم الوعد الذي أعطى إلي منكم رسميا، إنني سأعمل معي ذلك الوعد إلى قبري"، ثم سأله إن كان يريد الذهاب إلى باريس فأجابه قائلا :"فطالما بغيت في الأسر كل فرنسا زنزانة لي ظالما ظللت أسير، إنه ليست لي رغبة أن أكون ضحية متوجة بأكاليل الزهور".

ومرت الأيام دون أن يأتي أمر بانطلاق صراحة وهزت روحه مخاوف وشكوك مؤلمة، فهو مرة يؤكد له العقيد بوفور الكاتب العسكري الخاص لدوق دومال باسم الدوق أن الملك عازم على تنفيذ الاتفاق، وأخرى يخبرونه أن مجلس النواب قد طعن في صلاحية هذا الاتفاق[2]

و لم تمضي عليه فترة في سجنه حتى بلغته أخبار انهيار ملكية لويس فيليب [*] في 28 فبراير 1848 وعرف أن الضمانات التي قدمت له قد زالت بزوال الحكم الذي له بها [3] فشعر كأنه ألعوبة بيد القدر فلا شيء يربطه بالحكومة الجديدة و لم يعد بإمكانه المطالبة بالاحترام المقدس للمعاهدات والشرف والأمانة[4] .

وعلى الرغم من غدر هذا الحكم كتب الأمير إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية منددا بما لحق به من غدر، فكان كل ما فعلته الحومة الجمهورية أن نقلته إلى قصر هنري الرابع في مدينة بو* التي

---

[1]–عشراني سليمان ، **الأمير عبد القادر في بلاد المشرق** ، دار أطفالنا لنشر والتوزيع ودار القدس العربي، الجزائر ، 2011، ص194.

[2]– هنري تشرشل،المصدر السابق،ص252.

[*] **لويس فليب:**(1773–1850) ملك فرنسا في الفترة (1830–1848) ولد بباريس الابن الأكبر للدوق فليب نودي به ملكا بعد رحيل شارل العاشرسنة1830 دام حكمه 18سنة،عارضه الجمهوريون بسبب أساليب الاستبداد ورفضه إصلاح قوانين الانتخابات.انظر(حمدان بن عثمان خوجة،**المرآة**،تر:محمد العربي الزبيري،وزارة المجاهدين ،الجزائر2008، ص208).

[3]–بسام العسلي ،المرجع السابق،ص155.

[4]– مصطفى طلاس،المرجع السابق،ص154..

وصلها الأمير في 20 ابريل 1848 [1]، وكانت أشغال الترميم بادر بها الفرنسيين، و لم تكن تهدف إلى تجديد القصر فحسب بل تحويله إلى معتقل كذلك فكانت النوافذ مسدودة بقضبان حديدية وأصبح الأمير من خلفها أكثر من سجين بسيط وفرضت الحكومة المؤقتة على الأمير عبد القادر ومعاناة أخرى إذ حرمته من أصحابه، بإصدارها قرار بنقلهم إلى معتقل بجزيرة سانت مارجريت [2] ودامت إقامته في قصر هنري الرابع بمدينة ب واما يزيد عنه ستة أشهر من 29أفريل إلى نوفمبر 1848،وتتالت العديد من الظروف السيئة على الأمير من كوارث صحية وتسلسل حالات الوفاة[3].

وفي شهر جويلية 1848 سمي الجنرال لامورسير وزير للحربية وعند ذلك تيقن أن خلاصه قريب فالرجل الذي وعده أصبح على رأس السلطة، فوجه الأمير رسالة إلى الجنرال يستحلفه إنقاذ شرفه الشخصي وشرف فرنسا [4] ،إذ كاتبه قائلا:" ...سررت بتعيينك في الوزارة، أنا مقتنع بأن هذا التعيين سيترتب عليه تحريري ولقد جاء فرنسيون كثيرون وقالوا لي :"يمكنك أن تعتبر نفسك حرا، لأن صديقك ذاك الذي أعطاك وعده، هو الآن في مرتبة عالية ولا تعلوه قوة أرفع منها " [5] وأضاف قائلا: "أشرح إذا كل هذه القضية للفرنسيين المشهورين بشرفهم بين الشعوب كافة إذ يستحيل عليهم حين يفهمونها، أن لا يجعلوني أستعيد حريتي، إن لم تقدم على ذلك فسوف يقع عليك العار، ولن يعود أحد يصدق كلامك، ولا يعود أحد كبيرا كان أم صغيرا يكن لك أي تقدير"[6] ولكن الأيام والأسابيع والأشهر مضت و لم يتنازل أحد بالرد على رسالته بل حتى أن التعليمات التي سبقتهم إليه تقول :"لا عبد القادر ولا شخص من أتباعه، مصرح له بالاتصال

[1]-بسام العسلي ،المرجع السابق،ص155.

[2]-مصطفى خياطي، **الأمير عبد القادر سجين فرنسا**، المؤسسة الوطنية للإيصال والنشر والإشهار، رويبة ،2013 ،ص142

[3]-نفسه ،ص(146-147).

[4]-مصطفى طلاس، **فارس الجزائر** الأمير عبد القادر،(د.م.ن)،الجزائر، 2007، ص162.

[5]-Boualem Bessaih,**de l'emir Abd elkader a' l'imam chamyl lehèros des thetchènes et du caucase**, ENAG.ALGER .2009.P.195..

[6]-نفسه ،ص169.

بالخارج، ولا يسمح لهم بالكتابة ولا باستلام الرسائل ولا باستقبال الزائرين إلا بإذن من وزير الحربية [1] .

وفي حالة مت حالات اليأس، استولى الغضب على أصحاب الأمير وفكروا في عملية انتحارية من أجل إثارة قضية الأمير وذلك بالتصدي للحرس المسلح وخوض الصراع معه [2] لا يقولون كن الموضوع جرى كشفه وكانوا يقولون : "م نكن نريد الهرب، إنما نريد الموت حتى يراق دمنا على شرف فرنسا ويطبعها بطابعه فيلطخها بأننا قد قتلنا لمطالبتنا بتنفيذ الوعد الذي أعطي لسيدنا "، وتمكن عبد القادر وحده من تهدئتهم [3] .

وعلم وزير الحربية بذلك فما كان منه إلا أن نقل الأمير وحاشيته إلى قصر امبو از[*] .بما أن الحكومة الفرنسية نقل الأمير إلى قصر امبوزا، فقد قادر مدينة بو في 02نوفمبر1848 مسحوبا بكل مرافقيه، يتبعهم الرائد بواسوني[*] وعدة ضباط آخرين ،و فصيلة من الدرك[4].

---

[1] –مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص (162–163).

[2] –بسام العسلي، المرجع السابق ،ص155.

[3] –بوعلام بسايح ،المرجع السابق ،ص169.

[*] **امبواز:**هو عبارة عن حصن لأحد ملوك فرنسا يشمل على علاقة عالية الأسوار تحيط به سهول واسعة وانهار .انظر(بديعة حسني الجزائري،**الأمير عبد القادر حياته وفكره**،تر ابو القاسم سعد الله ،ج1،ط2،(د.م.ن)،الجزائر، 2012، ص160.

[*] **بواسوني** : من عائلو أرستقراطية ولد بباريس في 19 جوان 1811 ،أصبح ضابطا في المدفعية، وتولى في قسنطينة شؤون المكتب العربي وإدارة الشؤون الأهلية، بدأ حياته العلمية في 1884 بكتابة أشعار الأمير وتنظيماته العسكرية، كان عرفا باللغة العربية ولهذا رشح من طرف الدوق دومال بمرافقة الأمير إلى فرنسا وبعدها إلى المشرق، أنظر الموسوعة العربية ،م ج 10،ص528.

[4] – بوعلام بسايح،المرجع السابق،ص179.

وظل الأمير في السجن خمسة سنوات فقد خلالها عددا من أبناءه وأهله دفنهم في حديقة القلعة صابرا محتسبا، وقد أجاب أحد إخوانه عندما سأله عن حاله مترجلا هذا البيت:

تعودت مسى الضر حتى ألفته

وأسلمني طول البلاء على الصبر[1]

1-2نابليون الثالث يطلق سراح الأمير:

وفي 21 نوفمبر أعلن عن تكوين حكومة جديدة بعد انتخابات جديدة عين على إثرها لويس بونابرت نابليون في 11 ديسمبر 1848 أميرا على الجمهورية، وفي 14 جانفي 1849 أي بعد 24 يوما من انتخابه شكل مجلسا خاصا برئاسته للبحث في قضية الأمير مسلطا الضوء على الوفاء بالوعود الفرنسية من جهة وعلى الاتفاق الممضي مع الأمير من جهة أخرى...، وبرغم من تحصله على دعم بيجو وشانقارني* إلا أن الرئيس لم يتمكن من فرض رأيه، فقد رفض وزير الحربية الجنرال روليار تحمل مسؤولية تحرير عبد القادر وعارض الأمر بشدة ورفض أن مسؤولية توقيع أمر إطلاق سراح الأمير عبد القادر.

ونظرا بالقوانين الصارمة التي شنها كفيناك* في سنة 1848 لم تكن تسمح للأمير رئيس بالترشح لعهدة ثانية لذا ولبقائه في الحكم قرر نابليون التخطيط للانقلاب نفذه فيما بعد، في02 ديسمبر 1851 وقام بالإستلاء على السلطة، بحل المجلس، وأنشأ دستور جديد في 14 جانفي 1852 وإلقاء القبض على كل أعضاء الأحزاب اليمينية ومن بينهم كافيناك لامورسير الذين اتفقوا فيما

[1] - بديعة حسني الجزائري، **الأمير عبد القادر حياته وفكره** ،المصدر السابق ،ص186.

* - **شانقا ريني** :جنرال فرنسي ورجل سياسي من مواليد أوت(1793-1877) أصبح حاكما للجزائر ثم بعد انقلاب فرنسا غادرها ليعود لها عام1859.انظر(بسام العسلي،المرجع السابق،ص130).

* - **كافيناك** :الابن الثاني لجان باتيست كافيناك وكان هذا الأخير من مواليد باري(1802-1857) كان حاكما للجزائر وعين رئيسا للهيئة التنفيذية1848 غير انه فشل في فرض مرشحيه لرئاسة الجمهورية ضد لويس نابليون.انظر(بسام العسلي ،المرجع السابق ،ص133).

بعد بصفوف المعارضة فكانت تلك نقطة البداية بالاهتمام الحقيقي بقضية الأسير الجديدة المتواجد آنذاك بقصر امبواز.[1]

ولما أستتب الأمر لنابليون كانت قضية الأمير عبد القادر من أولى القضايا التي عني بها فأصدر أمرا بتبديل معاملته، وتحسين سلوك السلطات نحوه [2] ،ورأى بأن الوقت مناسب للإفراج عنه قد حان، وانتقل في أرجاء البلاد وزار الأقاليم الواحدة تلوى الأخرى وعند وصوله إلى مدينة بو أرسل برسالة إلى بواسوني أمير قصر امبوزا لإعلانه بنيته في زيارة الأمير عبد القادر، وطغت رغبته في نجدت الشرف الوطني الذي أمتلك طويلا، على كل اعتبار آخر [3] .

وفي 16 ديسمبر قصد نابليون مدينة امبو از فزار فيها الأمير، وبعد أن رحب به الأمير عبد القادر ترحيبا حارا تكلم الرئيس مثنيا على خصال الأمير ومزاياه وعلى مواقفه في دفاعه عن وطنه ودينه ذلك الدفاع الباسل الشريف [4]حيث قال له:"أنكم قد جلبتم دقة نظري،واستلزمتم محبتي بما اشتهرتم به من الخصال الحميدة والبسالة والشجاعة،في المدافعة عن وطنكم ،إنني لا أنظر إليكم كأسير بل كضيف عزيز محترم [5]،ثم أضاف"كنت أتمنى لو أني استطعت إنقاذك من يدي الذين لم يوفوا بوعودهم لك،ولكن ذلك لم يتسنى لي من قبل مع الأسف،أما الآن وقد شاء الشعب الفرنسي أن ينتخبني رئيسا له،فقد رأيت أن الوقت الذي يجب أن أحقق فيه رغبتي قد حان" ثم قدم للأمير رسالة ومن بين ما جاء فيها:"أنني أتيت لأعيد لك حريتك،وأنت ستحمل بمن معك إلى عاصمة سلطان تركيا وذلك بعد الفراغ من الترتيبات المختصة لسفرك،وستعين لك الحكومة الفرنساوية مرتبا يليق بمقامك،وأعلم أن سجنك كدرني كدرا حقيقيا مدة طويلة،وكنت أحسب

---

[1]- مصطفى خياطي، المرجع السابق،ص190

[2]-عادل الصلح، **سطور من الرسالة** حركة استقلالية قامة في المشرق العربي سنة 1877، ط1،لبنان ،1966،ص98.

[3]-مصطفى خياطي، المرجع السابق ،ص195.

[4]-أحمد كمال جزار، **المفاخر** في معارف الأمير عبد القادر،تق ومر محمد زكي إبراهيم،ط 1،دار العشرة المحمدية،(د .م.ن) 1997،ص36.

[5]-عز الدين إسماعيل وآخرون،**الأمير عبد القادر الجزائري**،دار العودة،بيروت،1975،ص133.

أن الحكومة السابقة قد قصرت جدا حيث أنها لم تنفذ ارتباطاتها معك، وعندي عدم الثقة بأمة عظيمة من جهة نقص عهدها يحط قدرها وشأنها وأخبرك ما اعتقده فيك، وهو أنك لا تحرك ساكنا في الجزائر لعلمي أن ديانتك توجب عليك الخضوع والتسليم لحكم القضاء والقدر، فإن إستلاء فرنسا على الجزائر ما وقع إلا بإرادة الله تعالى، وأعلم أن دولة فرنسا بل الأمة كلها لا تتخلى عن ذلك الإستلاء، وآخر رجل فيها يموت قبل أن يسلم به، وإذا كنت عدوا لفرنسا فلا يمنعني ذلك من أن أشكر أخلاقك الحميدة وشجاعتك وصبرك على الشدائد، ولذلك أفتخر بإطلاقك واثقا ثقة تامة بقولك "،حرر16 أكتوبر1852 [1] .

وبعد أن قرأ الأمير رسالة نابليون قدم له، شكره وامتنانه على إطلاقه ثم قدم له والدته التي قبل يدها وطلب منها الدعاء فدعت له أن لا يموت إلا على دين الله الحنيف، وبعد عودة نابليون إلى باريس دعا الأمير عبد القادر إلى زيارته فيها، قبل الدعوة واستقبله نابليون في قصر سانتاكلو[2]، واقفا يحيط به كافة رجالات الدولة، وبعد انتهاء المراسيم طلب عبد القادر الإذن بقول بعض الكلمات، وبعد موافقة نابليون قال بصوت مليء بالمشاعر.[3]

"صاحب السيادة إني لست معتادا على تقاليدكم وربما كنت على وشك ارتكاب هفوة ولكني أريد أن أعبر عن مشاعري أمامك أمام الشخصيات الكبار الذين يحيطون بك، آخرون وعدو و لم يوفوا، أما جلالتك فقد نفذت تعهدات لم تعهد بها، بفضل كرمك سيكون بإمكاني الذهاب والعيش في بلد إسلامي، الكلمات تتناثر ولكن الكلمات المكتوبة تبقى لذلك أني أقدم هذه الوثيقة لجلالتك وهي تتضمن وعدا خطيا"[4].

---

[1]-محمد بن عبد القادر الجزائري،**تحفة الزائر** في ذكر مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،ج1،المطبعة التجارية،مصر ،1903،

[2]-عادل الصلح، المصدر السابق،ص(64-65).

[3]-مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص168.

[4]-هنري تشرشل، المصدر السابق، ص268.

أمام هذا القرار الرسمي رد لويس نابليون قائلا :"عبد القادر لم أرفض عنك أبدا ثقتي، و لم أكن بحاجة لهذا النص المكتوب الذي تقدمه لي بهذا الأسلوب النبيل، لم أطلب منك شيئا لا وعدا ولا كتابا وأنك تعرف ذلك ومع ذلك قررت أن تكتب وأن تسلمني هذه الوثيقة فإنني أقبلها، هذا التعبير القوي لمشاعرك يبرهن لي بأني كنت على حق بوضع ثقتي اللامحدودة في شخصك.[1]

قضى الأمير في باريس بضعة أيام في زيارة معالم باريس (فرساي ،كنيسة المادلين والأنقاليدا) كما زار المستشفيات وزاره الوزراء ورجال الدين المسحيين وكبار القادة، والضباط الذين كانوا أسرى لديه ثم أطلق سراحهم [*] وبعدها جاء لزيارة نابليون مهنئا ومودعا حيث هنئه بانتخابه إمبراطور للفرنسي، فشكره نابليون ووعده بسيف سيصله إلى بروسه[*] وقال له:

"حيث أنك سلمت بنفسك إلى قائد جيش فرنسا، وأحببت أن تخرج من بلادها بسيف عوضا عن سيفك ".[2]

رجع الأمير عبد القادر إلى امبواز،و بالغ أمير فرنسا في طلب العودة إلى باريس لكي يحظى بأن يكون شاهدا الإعلان الإمبراطورية.

وفي 21 نوفمبر دعا الشعب لانتخاب الإمبراطور فطلب من عبد القادر حق التصويت ـــ بمجرد الصدفة ،كان ذلك اليوم ذكر اليوم الذي اختير فيه سلطانا على العرب منذ عشرين عاما

[1] – هنري تشرشل، المصدر السابق ، 269.

[*] الذين أطلق سراحهم في 12 ماي 1841 على إثر التنازل الشهير بناء على رسالة أسقف الجزائر دوبوش . أنظر(بسام العسلي ،المرجع السابق، ص159).

[*] **بروسه:** مدينة كبيرة في غربي تركية الآسيوية فتحتها أور خان بن عثمان 726هـ/1326م، أتخذها العثمانيون عاصمة لهم إلى فتح القسطنطينية أنظر(المنجد في اللغة والإعلام ص108).

[2] – محمد بن عبد القادر الجزائري،المصدر السابق،ج2،ص44.

خلت، فلم طلبه ووضعت له علبة اقتراع خصيصا للمناسبة، فوضع ورقته وأوراق اثني عشر من رفقائه[1].

وفي ديسمبر غادر عبد القادر وعائلته وأصحابه، وقبل أن يركب القطار وضع هبة مالية في مكتب المدينة الخيري، بينما كان أهالي امبو از قد قاموا بحملة تبرع كمبادرة للإخاء الإنساني، في سبيل صيانة المقبرة الإسلامية في حديقة امبو از [2]، وعلى طول الطريق كان نفس الاعتبار ونفس الاستقبال الذي وجده في باريس ننتظره في كل مدينة يجتازها.

وفي 21 ديسمبر صعد عبد القادر على سفينة لابردو ا متجها نحو هدفه النهائي [3] ،تابعت ذلك الباخرة طريقها تمخر عباب البحر المحيط، ورست في ميناء الأستانة (اسطنبول) يوم الجمعة من شهر ديسمبر عام 1853 [4].

1-3وصول الأمير إلى القسطنطينية:

حين وطأ أرضا إسلامية للمرة الأولى منذ خمس سنوات، كان أول عمل قام به الأمير هو الذهاب إلى جامع توب هاني وحيث صلى شاكرا لله على نعمه وكان العمل الثاني زيارة سفير فرنسا دولافاليت في القسطنطينية حيث أقام السفير على شرفه حفل كبير دعا إليه أهم شخصيات الجالية الفرنسية كما أقام عدة حفلات على شرف عبد القادر لكن أهالي القسطنطينية ظلوا غير مبالين باستقباله ولو حتى على سبيل الفضول [5]ذلك أن التبجيج التركي يجعلهم يحتقرون كل من غير عرقهم الأصلي، أنهم يعتبرون الاهتمام الذي يبدونه لعبد القادر رغم معارك ه المجيدة في سبيل

[1]-مصطفى طلاس، المرجع السابق ،ص171.

[2]-بوعلام بسايح، المرجع السابق ،ص201.

[3]-مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص 172.

[4]-بديعة حسن الجزائري، المصدر السابق، ص191.

[5]-بوعلام بسايح، المرجع السابق، ص (201-202).

الإيمان الواحد فكانوا ينظرون إليه نظرة مليئة بالغيرة والازدراء وكانت سمعته تثقل كاهلهم، فبطل عربي كان بالنسبة لهم أمر مستحيلا [1].

غير أنه لما زار بصحبة الخليفة ،بن علال وقارة محمد السلطان عبد المجيد [*]، الذي عبر بأسلوب، مبهج عن حفاوة لم تكن تخفي ما وراءها من عداء[2].

2-علاقته بالسلطان عبد المجيد:

كانت علاقة الأمير عبد القادر مع السلطان عبد المجيد حسنة ،وتوطدت أكثر مع إقامته بالمشرق ،وان كان الأمير عبد القادر في بادئ الأمر لم ينطق صراحة بمبايعة السلطان ،فإنه كان يتعرف بسلطته المعنوية على الشعوب الإسلامية، ويضع نفسه تحت حمايته [3]،ليعيش في حمى الخلافة الإسلامية.

2-1الأمير يمدح السلطان عبد المجيد:

وكان يرى أن الخليفة العثماني، يمثل فكرة دينية لذلك دعا إلى وجوب طاعته وهو يعتقد أن حمل الإمارة أمانة ثقيلة [4]، محمد الله لملاقاة أهل الدين قائلا:

وأشكر الله، إذ لم ينصرم أجلي حتى وصلت ،بأهل الدين إيصالا

---

[1] -مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص 173.

[*] - **عبد المجيد** : (1823-1839) سلطان عثماني خلفا لأبيه محمود الثاني ، كان أول سلطان عثماني يتكلم الفرنسية تابع برنامج والده من أبرز وزراءه مثل مصطفى رشيد باشا ، أقام تنظيمات أعلنت المساواة بين كل المسلمين والمسيحيين ، من انجازاته ترميم كنيسة أيا صوفيا ،اصدر خط شريف 1839 وخط همايون سنة 1856، في عهده قامت حرب القرم 1854. انظر: (عبد الوهاب الكيدالي،المرجع السابق ،ص853،وكذا العلايلي عبد الله وآخرون المرجع السابق، ص371).

[2] -بوعلام بسابح ،المرجع السابق ،ص(201-202).

[3] -بوعلام بسابح،المرجع السابق ،ص.202.

[4] -فؤادصالح السيد، **الأمير عبد القادر الجزائري منصوصا وشاعرا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1985، ص 244.

وامتدّ عمري ،إلى أن نلت من سندي خليفة الله، أفياء ،و أظلالا
فالله أكرمني حقّا، وأسعدني وحطّ عنّي، أوزارا وأثقالا
قد طال ما طمحت نفسي،وما ظفرت لكنّ للوصل، أوقاتا وآجال
اسكن فؤادي !! وقرّ الآن، في جسدي فقد وصلت، بحزب الله، أحبالا
هذا المرام الذي، قد كنت ،تأمله فطب مآلا بلقياه ،وطب حالا
وعش هنيئا، فأنت –اليوم– آمن من حم ام مكّة، إحراما وإحلالا
فأنت، تحت لواء المجد، مغتبط في حضرة ،جمعت قطبا ،وأبدا لا
وته دلالا، وهزّ العطف من طرف وغنّ، وارقص، وجرّ الذيل، مختالا
أمنت من كلّ مكروه، ومظلمة فبح بما شئت : تفصيلا ،و إجمالا
هذا مقام التهاني قد حللت به فارتع ،ولا تخش، بعد اليوم ،أنكالا [1]

وكان يرى أن الخليفة العثماني هو الحصن المنيع للخلافة القائم على حمايتها أو كفالتها لأنهم ينصروا النبي آزروه وساعدوه، فان العثمانيين هم أنصار دين الله ونبيه بعد غيبته ،لأنهم بذلوا في نصرته الأموال والنفس ،فلا يزال بني عثمان في كل عصر يقومون بواجب حماية الشريعة قولا وفعلا[2]، وكان فرحا بمقاربة أمير المؤمنين الخليفة عبد المجيد الذي وصل بفضل من الله مرتبة من الكمال الديني فالأمير يناجي نفسه ويبشرها بقرب هذا اللقاء[3] في قوله:

أبشر، بقرب أمير المؤمنين، ومن قد أكمل الله فيه الدين، إكمالا
عبد المجيد، حوا مجدا ،و عزّ وعلى وجلّ قدرا،كما قد عمّ أنوالا

[1]–الأمير عبد القادر، **ديوان الأمير عبد القادر** ،تر و تح، ممدوح حقي،دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت،(د.ت) ، ص157.
[2]–فؤاد صالح السيد، المرجع السابق،ص245.
[3]–نفسه،244.

كهف الخلافة، كافيها ،و كافلها ما عهدنا له في القرن، أمثالا
يا ربّ !! فاشدد على الأعداء ووطأته واجم حماه، وزده، منك، إجلالا
وأظهر في حزبه، في كل متّجه وسددن منه ،أقوالا وأفعالا
وابسط يديه ،على الغبراء،قاطبة وذلّلن كلّ ما في الأرض، إذلالا !!
فالمسلمون، بأرض الغرب ،شاخصة أبصارهم ،نحوه، يرجون إقبالا
كم ساهر، يرتجي نوما،بطلعته وحائر، يرتجي للحزن تسهلا
فرع الخلائف، وابن الأكرمين ،من شدّوا عرى الدين، أركانا وأطلالا
كم أزمة فرجوا ؟ ! كم غمّة كشفوا ؟ ! هم رحمة لنبي الإيمان، قاطبة
كم فكّكوا، عن رقاب الخلق، أغلالا هم الوقاية، أسوءا وأهوالا
أنصار دين النبي، من بعد غيبته في نصره، بذلوا نفسا، وأموالا
قد خصّهم ربهم، في خير منقبة ما خصّ صحبا بها، قبلا، ولا آلا
كم حاول الصحب ،و الآل الكرام لها و الله يختصّ، من قد شاء، أفضالا
مازال، في كل عصر، منهم خلف يحمي الشريعة، قوّالا وفعّالا
حتى أتى دهرنا، في خير منتخب من آل عثمان أملاكا وأقيالا [1]

وأثناء إقامته في اسطنبول أكثر الأمير من الإشارة إلى كرم السلطان عبد المجيد ،خاصة فيما يتعلق بموضوع الكفالة التي قدمها السلطان لفرنسا مقابل إطلاق سراح تحت عبئها، حيث قارن بين حياة الذل والخفض في الأمر وبين حياة الغزو والرفعة في ديار السلطان، انه ما كان لحياة الأمير لتتغير لولا فضل السلطان ،و جزيل كرمه ووجوده، ودعا الله أن يجزيه على إحسانه وفضله (انظر الملحق01 رقم ص(101-102)) [2] .

[1]-الأمير عبد القادر ، **ديوان الأمير عبد القادر** ، المصدر السابق،ص(158-159).

[2]-فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص246.

قد كنت مضمر خفض، ثم أكسبني رفعا ،وقد عمّني جودا، وأفضالا
و بالإضافة بعد القطع، عرّفني وحطّ عنّي تصفيرا ،و أغلالا
هذا ،وحقّ علاه !! كم أزاج، وكم أزال عنّي، بمخض الفضل، أثقالا ؟ !
لازال، تخدمه نفسي، وأمدحه مستغرق الدهر، أبكار ا وآصالا
أهدي مديحي، وحمدي،ما حييت،له أفادني أنعما- جلّت- وإقبالا
جزاه عنّي، اله العرش، أفضل ما جزا به محسنا- يوما -و مفضلا [1].

2-2الأمير يدعو لجيش السلطان العثماني بالنصر:

و عندما اشتبكت روسيا بحرب مع الدولة العثمانية في شبه جزيرة القدم عام 1853، وعرفت باسم هذه الجزيرة، وتدخلت فيها الدول الغربية كل لمصلحتها، وساعدت بالمال والسلاح والجند والدسائس السياسية، وكان هدف الجميع تمزيق الدولة العثمانية واقتسام مملكتها، أما المسلمون من جميع جهات الأرض فقد أمد الدولة العلية بالدعاء وقصيدة الأمير "توسلات للباري تعالى نظمها الأمير الشاعر كي ينصر الله الدولة العلية ويؤيدها على أعدائها ودعا الجيش السلطان، وأشاد ببطولة وشجاعته، خاصة وأن هدف هذا الجيش أولا وأخيرا الدفاع عن الإسلام، وأن يزيح عنه الظلم والعدوان[2].

يا ربّ ! يا ربّ ! يا ربّ الأنام !ومن إليه مفزعنا، سرّا وإعلانا
يا ذا الجلال ! وذا الإكرام! مالكنا يا حيّ ! يا موليا فضلا ! وإحسانا
يا ربّ ! أيّد، بروح القدس، ملجأنا عبد المجيد، ولا تبقه حيرانا

[1]-الأمير عبد القادر ، ديوان الأمير عبد القادر ، المصدر السابقص160.
[2]-فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص247.

ابن الخلاف، وابن الكرميين ،ومن توارثوا الملك : سلطانا فسلطانا
أحيا الجهاد لنا، من بعد ما درست وضاعف المال: أنواعا وألوانا
فانصره نصرا عزيزا لا نظير له حتى يزيد العدا:همّا وأحزانا
وأحفظ علاه، وأرسل - يا كريم !-له من الملائك ،حفّاظا، وأعوانا
وانصر به الشرع وارفع — يا رءوف !- به عن دينك الحقّ، لا تعدمه برهانا
واجمع-الهي !-قلوب المسلمين،على وداده أعله، أعظم له شان [1]

2-3حصول الأمير على الوسام المجيدي:

كان الأمير عبد القادر يمتاز بتقدير السلطان العثماني وإكبار وإجلال ملوك أوربا وحكومتها، وقدم له السلطان عبد المجيد الوسام المجيدي[2]، من الرتبة الأولى، و لم يكن يحلم بهذه الرتبة بهذه الرتبة أو الهدية الكريمة فأشاد في قصيدة (نعم الأكرمين) قائلا:

و لم أر أعظم من نعمة منحت، و لم تك لي في حساب !!
سأشكر ها ،شكر وقت السرور وأذكرها، ذكر وقت الشباب
أيا سابقا، بالذي لم يجل بفكري، ثوابا، ونعم الثواب !!
كذا فليكن ،نعم الأكرمين تفاجى، بلا منّة أو طلاب [3]

[1]- الأمير عبد القادر، **ديوان الأمير عبد القادر**، المصدر السابق، ص(161، 164).
[2]-نصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**، المرجع السابق ، ص 161 .
[3]- العربي دحو وآخرون ، **مذكرات الأمير عبد القادر**، ط3 ، منشورات شالة ، الجزائر ، 2007 ، ص94.

3- إقامته في بروسه ونشاطاته فيها:

قام الأمير بعد استراحته في سراي الحكومة التي خصصت له في القسطنطينية ،وكان لما التقى بالسلطان عبد المجيد وعرض عليه عدد من المدن ليختار أحداها للإقامة الدائمة فاختار بروسه [1] لأنها تشبه وطنه الأم.

3-1انتقال الأمير إلى بروسه ونشاطاته فيها:

وبعد أن أقام عشرة أيام في القسطنطينية حان وقت رحيله فودع الصدر الأعظم [*]، ومن دونه من الوزراء والمأمورين، ثم ودع سفير فرنسا وتوجه إلى بروسه [2]، وكان خليل باشا صهر السلطان ووالي بروسه وشيخ الإسلام حكمت بك [3] في استقبال موكب المهاجرين عند مدخل المدينة ومعه أعيان البلاد ورجالتها المرموقين [4] ،واستقبلوه بغاية التبجيل والاحترام على خلاف ما لقوه في الأستانة، وكان النزول في الدار التي أعدت للأمير وإتباعه بأمر من السلطان بالمحلة المعروفة بمحلة المحكمة[5] في بروسه، أجمل تلك المناطق وكانت حقا تشبه إلى حد كبير تلمسان في الجزائر، لذلك شعر الجميع ببعض الراحة والاستئناس[6] ،حيث قال الأمير صدق الذي اخبرنا أنها تشبه مدينة تلمسان ثم اخذ يشير إلى وجه الشبه بين المواضع والجهات وانشد قائلا:

---

[1]-بديعة حسني الجزائري، المصدر السابق، ص141.

[*] **الصدر الأعظم:** هو لقب حمله الوزير الأول في الدولة العثمانية منذ عهد سليمان القانوني، من مهامه أيضا ترأس الديوان، وعقد الاجتماعات الشهرية والتفتيش. انظر:(محمد ثابت افندي وآخرون ،**دار المعارف الإسلامية**، مج14، القاهرة، (د،ت) ، ص162.)

[2]- محمد بن عبد القادر الجزائري،ج2 ، ص53.

[3] -فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص64.

[4] _ بديعة حسني الجزائري، المصدر السابق، ص 191.

[5]- محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج2، ص53.

[6]- بديعة حسني الجزائري، المصدر السابق، ص191.

أما الخيام فإنها كخيامهم وارى نساء الحي غير نسائها

وأول وصول الأمير إلى بروسه عرض إليه واليها بإذن من السلطة العظمى يتعين مرتب شهري يقوم بشؤون الأمير فسر الأمير بذلك ودع للدولة العلية بالشكر على اهتمامها بالأمر ،الشكر الجزيل، وقال له بان الإمبراطور نابليون عين لي من النقود ما يكفي من النفقة، وأما مولانا السلطان المعظم فقد تفضل علينا بما هو أعظم من الدنيا بما فيها، وهو تنازل عظمته وإنعامه عليّ بالكفالة عن الدولة الفرنساوية ولولاها ما خرجنا من قبضة الأسر، هذا الإنعام لا يوازيه شيء ولا يقابله شكر [1]، وبعد أن استقر بهم المقام انظم إليه الحاج عبد القادر بوكيخية–والعلاّمة محمد الخروبي القليعي ،وكان كاتب لدى الأمير وخليفة ايالة سطيف، والعلامة بن قدور رويلة وغيرهم من الأسرى الذين أطلق سراحهم المستعمر الفرنسي بعد وصول الأمير إلى بروسه فوجد ولديه الحمى والصدر الرحب[2]، وكان عبد القادر يخصص وقته للصلاة والدروس ولتربية أولاده، وكان من جميل كرمه انه كان يسد حاجات هؤلاء الذين تبعوه، وحاجات أولئك الذين انضموا إليه، فكان يخصص مبالغ للأعمال الدينية متكفلا بأعمال ترميم الجوامع وموزعا الصدقة على المحتاجين، حتى انه ذات يوم قد كان يستعيد لختان احد أولاده أعلن في المدينة أن مترله سيكون على مدى ثلاثة أيام متتالية مفتوحة للفقراء والمحتاجين فتوافد الكثيرون إليه وكان يسهر شخصيا على أن يشارك كل فرد منهم في بحبوحته وينتقل من جماعة إلى أخرى وهو يقدم لها كلمات المواساة الأمل.

وأثناء إقامته في بروسه لم ينسى الوعد الذي قطعه للإمبراطور نابليون الثالث بان يقدم له جوادا عربيا أصيلا، حتى يحول عن تفضيله للأجياد الانجليزية فأرسل بعض أعوانه إلى ديار بكر وسورية ليختاروا له نماذج جديرة بالإمبراطور الفرنسي.

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج2، ص54.

[2] – بديعة حسني الجزائري، المصدر السابق،ص192.

وفي شهر جويلية 1854رسا بوخيكة احد أشجع فرسانه في مرفأ مرسيليا ومعه ثلاث جياد رائعة، يحمل كل منها رأس لجام كتب عليه بالذهب أشعار نظمها بنفسه .

ـالجواد الكميتي:"شرفتني أيها السلطان، وتقبلني فانا جواد متميز، فبياض قائمي ووجهي يضارع بياض قلبي وقلب من أرسلني إليك".

ـالجواد الأشقر: كتب عليه: "أيها السلطان، يا من تخطيتم السلاطين الآخرين بعدلكم وقوتكم وطيبتكم لي، لون هذا الذهب الذي توزعونه على المساكين، تفضلوا بامتطائي سوف تظفرون بأعدائكم".

ـالجواد الكميتي الفاتح وكتب عليه:"أيها السلطان مجدكم دائم في نظر الشعوب والملوك، أنا جواد أصيل ولوني هو لون النار في المعركة".[1]

وقد خصص الأمير عبد القادر أيامه لتعليم أولاده علاوة على الخطابة في المساجد [2]وكان الجميع يجاملون الأمير بحسن المجالسة والمعاملة الطيبة ،وكان يصلي بهم الصلوات الخمس في الجامع المعروف"جامع العرب" وقد شرح لهم في هذا الجامع عدة كتب منها صحيح البخاري والمذاهب الأربعة، وكان يكثر من الصدقات ويكرم المحتاجين فاخذ العلماء وأصحاب الحاجة يقصدونه من كافة بلاد العالم الإسلامي [3] حتى اخذ المهاجرون من أهل الجائر يوفدون إليه من مواضيع إقامتهم في تونس ومصر والحجاز والشام ،ويتسابقون إلى أعتابه راغبين في السكن برحابة فقابلهم بالقبول والإكرام.[4] وان كانت البناية التي خصصتها الحكومة التركية لإقامة عبد القادر لم تكن حسنة،فهي عبارة عن خان قديم مهدم وكثير من أفرانها كان بلا سقوف ، وقد حاول جهده أن يجعلها صالحة

[1]-بوعلام سايح، المرجع السابق، ص (207-208).

[2]-مصطفى طلاس،المرجع السابق،ص.174.

[3]-بديعة حسني الجزائري، المصدر السابق، ص192.

[4]-.بوعلام سايح،المرجع السابق ،ص208.

للسكن [1]،لكن كثرة أتباعه خاصة وانه لما استقر ببروسه انظم إليه الأسرى الذين أطلق سراحهم من قبل المستعمر الفرنسي، ومن اجلهم اشترى الأمير مزرعة واسعة تسمى "جيك"في ضواحي المدينة وأمر ببناء دور لسكن فيها أشرف على بناءها الجميل مهندسون من دار الخلافة[2].

3-2الأمير عبد القادر يغادر بروسه متجها نحوى الشام:

ورغم أن بروسه كانت تذكره قليلا بمدينة تلسمان إلا انه كان يشعر بعزلة ما،فرغم انه محبوب ومحترم من جانب رجال الدين والعلم [3]،ومع ذلك فانه كان يشعر انه على ارض أجنبية لان قليلا من الناس يفهمون لغته [4] ،فقد كان الوسط مختلف تماما عن وسطه فهو مؤلف من يونانيين وأتراك لغة وعادات ،وحتى المذهب الحنفي لم يكن مذهبه، [5]فالمؤلف هنري تشرشل في كتابه حياة الأمير عبد القادر يصف لنا الأتراك بأنهم على درجة من العنجهية والفخفخة تجعلوهم يكرهون كل السلالات ماعدا سلالتهم وهم كغرباء عن كل العواطف النبيلة معتقدين انه لا وجود لأي شئ في العالم أكثر أهمية من أنفسهم، وكانوا ينتظرون إلى الحظوة والاهتمام الذي ناله عبد القادر بغيرة بل باستهزاء فشهرته كانت تغيضهم ،وان وجود بطل عربي في نظرهم غير مناسب بل هو سفاهة، [6]حتى علماؤهم يحسدونه ويكرهون لوفرة علمه حتى أن الموظفون الذين تخلصوا شيئا فشيئا من الرهبة التي فرضتها عليهم سمعته الواسعة الانتشار،فكانوا يبتسمون سخرية له وروح الشماتة لا الود ،هي البادية على محياهم لأنهم كانوا في داخلهم مسرورين لرؤية بطل عربي كبي به جواد الزمن.[7]

---

[1]-هنري تشرشل،المصدر السابق،ص275.

[2]-بديعة حسني الجزائري ،المصدر السابق، ص192.

[3]-بوعلام سايح ، المرجع السابق ، ص208.

[4]-مصطفى طلاس،المرجع السابق،ص174.

[5]-بوعلام سايح ،المرجع السابق،ص208.

[6]-هنري تشرشل،المصدر السابق،ص(272-273).

[7]-مصطفى طلاس،المرجع السابق،ص174.

ومر وقت الأمير عبد القادر هكذا مدة ثلاثة سنوات وهو يقضيها في تربية أبنائه، وفي القراءة في الجامع والدراسة الخاصة والعبادة، وكان يحلم في تبديل منفاه ولكنه تحاشى ذلك.

وأخيرا أتاح له الزلزال الكبير الذي حدث 1855الذي هدم كامل مدينة بروسه تقريبا سببا لإثارة الموضوع، وأسرع للاستفادة من الظروف ليحصل على الموافقة للذهاب إلى فرنسا [1]،ليرحل بعد عدة أشهر إلى فرنسا حتى يتوسل الموافقة على المطلب الذي كان ينشده.[2]

ومرة أخرى قابل الإمبراطور الذي لبى طلبه بطيب خاطر، وتم الاتفاق على أن يكون إقامته اللاحقة في دمشق،و في الوقت الذي كان فيه الأمير عبد القادر في باريس وصلته أنباء سقوط سباستبول وعرض عليه الحضور رغم انه كان مصابا بمرض قاس"كوليرا"أنهكه وكان اثر وجوده كبيرا على الجمهور المحتشد في الكاتدرائية.

ثم عاد إلى بروسه حيث بقي بضعة أسابيع في ترتيب أوضاعه [3]للانتقال من بروسه إلى دمشق دمشق رفقة الجالية الجزائرية التي تشكلت في بروسه ،وتقرر أن تحملهم السفينة الفرنسية من بروسه إلى ميناء بيروت ،فحمل معه110من اتباعهمنهم75فردا من عائلته،ولحق بهم الآخرون عن طريق البر [4] ،ونقل في بادئ الأمر إلى بيروت يوم24دسمبر1856،ومن هناك بعد إقامة قصيرة تابع نحو دمشق.

[1]–هنري تشرشل،المصدر السابق،ص275.

[2]–بوعلام بسايح،المرجع السابق،ص209.

[3]–مصطفى طلاس،المرجع السابق،ص(174-175).

[4]–نادية طرشون ، **الهجرة الجزائرية نحوى بلاد الشام** (1847-1911)،رسالة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم تاريخ،كلية الآداب،جامعة دمشق،(1984-1985).

1-علاقة الأمير عبد القادر بالدولة العثمانية:

يعتبر قرار ارتحال الأمير عبد القادر الذي اتخذه ونفذه إلى الشام متحولا من فرنسا إلى بروسه ثم دمشق أثار تساؤلات العديد من الكتاب والباحثين، وطرح لديهم العديد من الاستفهامات من بينها: ما الباعث وراء هذا الترحال؟ و لم اختار الأمير دمشق على غيرها؟ علما بان الأمير كان في الموثق الذي عقده مع الفرنسيين عشية التسليم، فقد اختار مدينة عكا بفلسطين دار للهجرة والاغتراب فلم يختر الأمير دمشق بعد أن قام خمسة سنوات أو زهاءها في بروسه، ثم يقرر الارتحال عنها إلى دمشق وليس عكا؟

كان الأمير يعرف دمشق إذ قضى فيها وقتا في حجته مع والده قبل أن يؤمر لقيادة الحرب ضد الفرنسيين[1]، حيث استزاد من العلم لدى شيوخ جامع الأمويين حيث كان ملتقى الجموع والوفود من شتى بلاد الشرق الإسلامي [2]، وكان الأمير يجد نفسه في بروس ه معزولا في لقاء المعارف والوجوه لاسيما من الأقطار العربية، وهناك من الباحثين من يرى أن رحيل الأمير إلى دمشق وتنقله من بروسه كان بسبب الزلزال، ولكن بالنظر إلى إيمان الأمير وق درته لا يمكن أن نتصوره يتحول من موطن لأخر لمجرد رغبته في السلامة وتفادي خطر الزلزال، ولا يستبعد أن يكون الأمير قد استدرج إلى الإقامة في دمشق من قبل فرنسا ذاتها لأنها رأت فيه الفاعل المثالي المرشح لتنشيط سياستها ومناورتها في بلاد الشام، ومن المؤكد أن الأمير لم يكن ليتفطن إلى هذا الاستدراج، وإلا ما كان ليستجيب لهذا، وهذا ما سنراه من خلال موقفه من الفتنة السورية 1860، وموقفه من توليته ملكا على الشام.[3]

---

[1]-عشراتي سليمان، المرجع السابق ،ص41.

[2]-محمد الشريف ولد حسين، **من المقاومة إلى الحرب من اجل الاستقلال1962 -1830**، دار القصبة للنشر، لجزائر، 2010 ، ص11.

[3]-عشراتي سليمان، المرجع السابق ،ص (42-43).

إن السلطات التركية في دمشق كانت تعمل بأمر فؤاد باشا، وقد سجلت شعورها نحو تدخل عبد القادر الإنساني لصالح المسيحيين بإرساله أمرا بوجوب تسليم الجزائريين أسلحتهم، ولكن عبد القادر رفض الأمر على اهانة واحتج على ذلك، وكان رده على هذا الإجراء "أبدا لن انصاع لهذا الأمر إلى أن يعلن فؤاد باشا رسميا أنني ورجالي قد أسأنا استعمال أسلحتنا وفي هذه الحالة فإنني سأتركه يبرر سلوكه بما يراه انسب له مع الدول الأوربية التي باركت عملي"

و لما كان الأمير عبد القادر مؤيدا بقوة من جهة فرنسا ذات النفوذ، فانه نجح في اتقاء الاهانة التي وجهها الترك ضده عن عمد ووسوء نية، وهنا يظهر لنا ان هذا الإجراء قد تم اتخاذه من طرف الدولة العثمانية لإلحاق الاهانة بالشخص الذي دافع عن المسيحيين.[1]

ولا بد من الإشارة إلى أن علاقة العثمانيين بالعرب كانت سلبية ولعل اكبر ملامحها، إسماعيل ولي عهد الخديوي محمد سعيد الذي حل على عرش مصر، وهو اكبر أمراء العائلة المالكة، فقد كان أول حاكم أعرب بعد محمد علي عن روح الاستقلال والانفصال عن وصاية الباب العالي، جسدت تلك الإرادة في أهم مناسبة دولية عرفتها مصر، نقصد مناسبة تدشين قناة السويس، فقد أبى إسماعيل أن يدعوا الخليفة العثماني ليكون من بين الأقطاب المحتفلين بالحدث وذلك تأكيدا منه لنزعة الاستقلال التي كان يعمل على تحقيقها، وهذه النزعة التي كانت تجد التغذية من الدول الغربية في إطار خطة تفكيك رجل أوروبا المريض، وهذا ما يدل على أن الدولة العثمانية كانت لها علاقات سلبية مع العرب قبل الأمير[2]

فرغم ما كان يحظى به من احترام من طرف السلطان عبد المجيد الذي نال منه النيشان، ولكن التوتر يظهر بعد مشروع تولية الأمير على المشرق.[3]

[1]–هنري تشرشل، المصدر السابق، ص287

[2]–عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص90

[3]–نفسه، ص 91

خلال الأربعينات من القرن التاسع عشر فكر الأمير عبد القادر في أن يطلب من الجزائريين الهجرة الجماعية للمشرق، حتى لا يحكمهم أجنبي وراجت هذه الفكرة والتقطها بعض العلماء فوافق عليها البعض وعارضها آخرون، وكانت الطريقة الرحمانية من دعائم المقاومة والسند الرئيسي للأمير ورغم انتشارها في الوطن فقد كانت متمركزة في الوسط وفي منطقة القبائل وكان من أهم وابرز رجالها احمد الطيب بن سالم والمهدي السكلاوي المتمركزة في دلس، أما ابن سالم * فقد هاجر في ربيع 1847 إلى الحجاز، وأما الشيخ السكلاوي فلم يكتف بهجرته شخصيا بل دعا أتباعه الرحمانيين إلى أن يفعلوا مثله وقد قصد بهم بلاد الشام.[1]

و بعد استسلام الأمير عبد القادر وجملة من الأحداث تلت هذا الاستسلام وصل الأمير إلى دمشق في نهاية شهر نوفمبر من سنة 1856 بعد أن استأذن من السلطان الغازي عبد المجيد خان في الاستقرار بها، واتخاذها المقر الأخير له، وفي طريقه إلى دمشق وافته وفود آل أرسلان وغيرها بجبال لبنان وكلهم يرغب في إقامة الأمير عبد القادر الجزائري عندهم ،و الأمير يعتذر لهم حتى وصل إلى دمشق[2] ، وكان برفقته مائتي شخص ودخل دمشق وذكر بعضهم انه لم يدخل دمشق، هذا البلد الذي كان محطة هجرة الجزائريين أميرا عربيا منذ مائتي سنة، وكانت الدولة العثمانية أصدرت أمرها إلى والي الشام، أن يتخير دار لائقة لإقامة الأمير عبد القادر فنزل –دار القباقبي – واتخذها دارا لسكناه[3] و بمجرد وصوله بدا الأمير يشتري في أنحاء متفرقة من الشام إضافة إلى ما تمنحه إياه الدولة العثمانية فيمنحها بدوره للجزائريين.[4]

---

* – **احمد بن سالم** توفي عام 1868، خليفة الأمير في منطقة حمزة (القبائل الكبرى) .(انظر:عشراتي سليمان ، المرجع السابق ، ص 54)

[1] –أبو القاسم سعد الله، **أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال**، المنعقد بفندق الأوراس يومي 30-31 أكتوبر 2006، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص (25-26)

[2] –يحي بوعزيز، المرجع السابق ،ص53.

[3] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص66

[4] سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي في المشرق**، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1999،ص 48.

مضى الأمير لممارسة حياته العادية واختار مسجد في أمية قاعدة وكان يمضي فيه وقتا كبيرا وذلك في تدارس العلم مع العلماء، وقد انكب منذ وصوله إلى دمشق على أن يبرهن للأتراك بأنه لا ينوي الاهتمام بالشؤون السياسية، إذا كانت أيامه منظمة تنظيما دقيقا وكان يقضي وقته في الجوامع[1]

و تعددت أماكن تدريسه، فتارة المدرسة الجقمقية وآونة بالمدرسة الأشرفية التي كانت تدعى دار الحديث النبوية، وكان قد استولى عليها يهودي وجعلها لتخزين الخمر [2]، فقام الشيخ يوسف بن الدين المفزي بالسفر إلى اسطنبول لتقديم شكوى بخصوص وضع المدرسة وأثناء وجوده في اسطنبول قابل الأمير عبد القادر وأطلعه على قضية المدرسة الأشرفية وما إن استقر الأمير بدمشق استدعى اليهودي وابتاع منه المدرسة وجعلها وقفا إسلاميا.[3]

و بالإضافة إلى ذلك البرنامج كان الأمير يخصص وقتا لتربية أولاده، وتنشئتهم تنشئة صالحة.

و قد اجتذب بهذا البرنامج اليومي احترام وإعجاب عدد كبير من الأشخاص لكنه ، أثار لدى الآخرين حسدا مكبوتا، فبإلقائه دروسا ومحاضرات زادت شهرته لدى الطبقة المتعلمة التي اكتشفت بدهشة في العلوم وثقافته الكبيرة وسرعان ما تزايد عدد طلابه على حساب أساتذة آخرين كانوا من المشاهير في ذلك الحين، بالمقابل برزت ظاهرة تعاطف النخبة معه، والمتعطشة لسماعه وقد كانت قراءته اليومية تقوده من الأدب إلى التاريخ ومن التاريخ إلى الفلسفة[4]

و مهما يكن من أمر فاستقرار الأمير عبد القادر في دمشق اثر كبير على الجزائريين وجعل كل واحد منهم يفكر في الاغتراب يضعه نصب عينيه قبل أي بلد آخر، ومن جهته ساهم الأمير

---

[1] – بوعلام بسايح، المرجع السابق، ص(213-214)

[2] _ برنوا ايتين، **الأمير عبد القادر الجزائري**، ت ر، ميشيل خوري، ط1، دار عطية، لبنان، 1997، ص420.

[3] – نفسه،ص433.

[4] – سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي في المشرق**، المرجع السابق، ص49.

عبد القادر بقدر وافر في حل الكثير من المشاكل المادية والقانونية والإنسانية، التي تعرض لها الجزائريون في دمشق أمام صمت الإدارة العثمانية التي اعتبرت وجود الأمير في دمشق أمر مقلق لسياستهم وسيادتهم في البلاد، ولكن لم يجرؤوا يوما على مجاهرة الأمير عبد القادر بذلك، وطوال حياته لم يدخر هذا للدفاع عن مصالح المهاجرين الجزائريين في الولايات العثمانية في المشرق العربي.[1]

2-علاقة الأمير بالحركة القومية العربية

في إطار الدور السياسي الذي لعبه الجزائريون في المشرق فقد قادوا الحركة القومية العربية، وربما كان لهم الفضل في تعديلها لتكون مقبولة من المسلمين، فمن المعروف أن هذه الفكرة في شكلها المعاصر بدأت على شكل جمعيات ثقافية في الشام وكان الكثير من أعضاء هذه الجمعيات نصارى مما أعطى الفرصة لفرنسا لمحاولة استيعاب واستمالة هذه الفكرة الناشئة والادعاء بان الفكرة فكرتها وهو أيضا ما منح للأتراك ورقة القول بان القومية العربية فكرة نصرانية أوربية هدفها القضاء على الإسلام [2]و لذلك فان عددا معتبرا من علماء السنة والشيعة والدروز وقفوا موقفا حذرا من الفكرة إلى أن ظهر الأمير عبد القادر ورجاله[3]

و قد بدا لنا أن الأمير عبد القادر في بدايته في الشام وكأنه رجل تخلى عن أي طموح سياسي ليتحرك فجأة لتصدي الفتنة [4] ،التي وقعت بين المسلمين والنصارى، حيث يقول الأمير في هذه المسالة: " أن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي اجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة أو

---

[1] – عمار هلال ، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام** ،(1847 – 1918) ، دار الهومة ، الجزائر، 2007، (24-25).

[2] – ناديتج طرشون وآخرون، **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال**، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص293 .

[3] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص98.

[4] –سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، دار الأمة، الجزائر، ص27.

معول طيش صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم ،... أحذركم من أن تجعلوا للشيطان لشيطان الجهل فيكم نصيبا أو يكون له على نفوسكم سبيلا "[1]

فمن الغريب والفريد من نوعه هذا القدر أن عربيا من سلالة النبي قد وضع درعه الواقي ويصون عروش المسيح ويخمد هياج أوروبا المسيحية وغضبها. [2]

و قد كان من أسباب هذه الفتنة هو ما كان يعتقده مسلمو ا دمشق من أن المسيحيين في أيام إبراهيم باشا أساءوا إليهم وامتهنوهم [3]

و يقول البعض الآخر أن سببها يرجع إلى نزاعات دينية وأن أصابع الاتهام الخفية هي التي غذت نار الفتنة ترجع إلى نزاعات دينية، والبعض الآخر يقول إنها ترجع إلى المسئولين المحليين بالدرجة الأولى، وأن الأستانة بريئة من كل تهمة[4]

فيما يرى البعض الآخر أن الهجمات التي شنتها طائفة الدروز سنة 1860 على الجالية المسيحية بإيعاز من السلطات التركية [5] و ما كان من الأمير إلا أن فتح لهم مترله للجوء إليه، وجند أكثر من 300 من الجزائريين الموالين له لمواجهة هذه الفتنة [6].

[1] – احمد كمال جزار، المرجع السابق، ص38.

[2] – هنري تشرشل، المصدر السابق، ص286.

[3] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص71.

[4] ضيف الله محمد الأخضر، **محاضرات في النهضة العربية الحديثة** ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص39.

[5] – على المحجوبي، **العالم العربي الحديث والمعاصر**، تخلف فاستعمار فمقاومة، ط1، دار محمد علي للنشر ، 2009، تونس، ص115.

[6] – مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص 180.

و توجه نحو العلماء ورجاهم استخدام نفوذهم على الجماهير لتهدئة الخواطر ويذكر تشرشل* انه في شهر أيار أذاع الأمير منشورا على رجاله الطائفة الدرزية التي بدأت تعمل على مقربة من دمشق) وكان الأمير عبد القادر يعلم أن الفتنة ورائها الاستعمار خاصة فرنسا التي جهزت جيشا لاحتلالها [1]

فطلب من والي دمشق أن يأذن له بالتصدي للفتنة إذا ما وصلت دمشق، فيوافقه الوالي على طلبه، وبدأ الأمير مراسلاته للدروز في نواحي دمشق يحذرهم من هذا المخطط، لكن الفتنة وصلت فعلا في تموز 1860 . وحين أعلن الأمير انه سيتصدى لها يرسل له الوالي من يثنيه عن عزمه...لكنه يمضي قدما ويحمي النصارى...و هكذا افشل الأمير خطط الدول الكبرى بالانقضاض على دمشق وإخراج الدولة العثمانية من الشام، وفي نفس الوقت إبطال الدعاية العثمانية بان الحركة القومية العربية هي حركة نصرانية، كما انه أيقن المسيحيين العرب بان لا الدول الكبرى ولا الدولة العثمانية تحميهم .فالذي يحميهم هو وطنهم الذي تتلاحم فيه كل عناصره من المسلمين والنصارى، لقد أعاد الأمير إلى القومية العربية جوهرها المغيب، فلا العجم ولا الروم يمكن أن يسندوا عربا أو يقيموا دولة للعرب سواء كانوا عرب نصارى أو مسلمين.

و هكذا افشل الأمير مخطط ضرب قلب الحركة القومية العربية وأعاد إليه النبض [2] ،هذه المأثرة أعادت إلى سطح الأحداث شخصية الأمير، في أن بعض الشخصيات الأوربية البارزة

---

*-**الكولونيل تشارلز هنري** تشرشل جاء لبنان سنة 1842، على رأس هيئة أطلق عليهم اسم البعثة البريطانية في سوريا واشترى قرية بحوازة التي تقع بين عالية وبحمدون، وبنى فيها بيتا سكن فيه وما تزال أطلاله قائمة حتى اليوم، وقد أنشأ اتصالات واسعة مع بعض الأسر الإقطاعية في البلاد، ونسب إليه الاشتغال بعدد من الحركات المحلية خلال إقامته بلبنان، وهو ينتسب إلى عائلة تشرشل باسم شرشر بك ، توفي في بيروت وانتقلت بعد وفاته ملكية قريته وبيته إلى التاجر البيروني السيد جورج شقير. انظر: (عادل الصلح، المصدر السابق، ص71).

[1]- رابح لونيسي وآخرون، مرجع السابق ،ص120.

[2]- سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق، ص (24 – 25) .

اقترحت انه آنذاك بعد إخماد الفتنة لان يكون إمبراطورا للعرب وسارعت الدول الأوربية إلى الثناء على الأمير[1]

فقد منحته روسيا: وسام الصليب الأكبر للنسر الأبيض، وفرنسا:وسام فرقة الشرف من الدرجة الأولى، وبروسيا الصليب الأكبر للنسر الأسود، وتركيا المجيد ية من الدرجة الأولى ،...،كما أرسل إليه عدة شخصيات مسلمة رسائل دعم وتقدير كانت أرقاها رسالة الإمام شميل[2]

لقد كان الأمير عبد القادر من أكثر المتحمسين لتحديث الشرق [3] وممن ساهموا في تنشيط أهم المشاريع الاقتصادية المواصلاتية في عصره، وفي تمام التوافق مع تتبع التقدم التقني العربي الحديث وضمن هذا السياق تظهر علاقة الأمير مع فرديناند دليسبس الذي زار الأمير في فرنسا[4]

وقد كتب دي ليسبس [*] في مذكراته: «في العالم الذي تلا مذابح 1860م في سوريا توجهت لتامين عمال مشروع قناة السويس وأبلغت الأمير وأنا في مدينة القدس عن استعدادي لزيارته في دمشق التي مازال سكانها في موقف حذر وريبة من الأوربيين، وأسرع لملاقاتي لخارج المدينة عندما أعلن نبا اقتراب قافلتي منها، وأجلسني إلى قربه في عربته، واجتزنا المدينة التي اصطف سكانها في

---

[1] –عبد العزيز بوباكير، **الأمير عبد القادر في المؤلفات الروسية**، أعمال ملتقى الأمير عبد القادر 1998، طباعة وتوزيع دار الحكمة ،الجزائر ،ص114 .

[2]– بوعلام بسايح، المرجع السابق، ص277.

[3] – برنوا ايتين، المرجع السابق، ص 411.

[4]– عشراتي سليمان ،المرجع السابق ،ص83.

[*] – **فرديناند دي ليسبس** : ينحدر من أسرة دبلوماسية، إذ كان أبوه قنصلا عاما لفرنسا بتونس، حيث سيتعين هو نائب قنصل، وقد كلف دي ليسبس بمهمة (التفاوض مع الباي احمد) لدى كلوز يل القائد العام لقوات الاحتلال بالجزائر، وأعجب هذا الأخير بنباهته وكتب بذلك لأبيه ثم بعد أن تقلب في مناصب وأماكن عدة انتهى به المطاف إلى أن يعين قنصلا لفرنسا في الإسكندرية، ويقال انه خلال فترة العزل الصحي بالميناء، التي كانت متبعة في ذلك العهد أرسل إليه قنصل بلاده بالإسكندرية مجموعة كتب كان من بينها مذكرات المهندس جان بابنيس الذي كان مكلف أثناء الحملة الفرنسية على مصر بدراسة مشروع قناة السويس، اطلع دي ليسبس على تلك المذكرات ومن قراءتها ومن لقائه لطائفة ألسان سيمونيين الذي كانوا قد جاءوا الى مصروالمشرق لأجل تحقيق أحلامهم في تزويج الشرق بالغرب، تولدت لدى دي دليسبس الرغبة في انجاز مشروع شق القناة، انظر:(عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص (86-87)) .

مجموعات أمام منازلهم يحيون الأمير بمودة، وقد استقبلنا خلال بضعة أيام في كل مكان كأصدقاء..."

و قد تعرض مشروع دي ليسبس لكثير من الجدل لكن الأمير اقتنع بجدوى المشروع ونتائجه الطيبة على ازدهار وتقدم الشرق، وغدا الأمير متحمسا لشق القناة، واهتم لتنفيذ هذا المشروع، وقد ذهب ليرى بنفسه مدى تقدم المشروع في خليج السويس، وتلا ذلك عدة زيارات إلى غاية حضوره لحفل الافتتاح سنة 1869 وكعادته كان الأمير محط الأنظار ومركز اهتمام الحاضرين.[1]

فكان يتحدث لكل من وفدوا عليه عن إعجابه بالمنجزات الكبيرة المحققة وتأثره أمام هذه النتائج الباهرة، وتقديره لكل ما رآه، ويطلب إبلاء الثقة لهؤلاء الرجال الذين ينجزون هذه المشاريع بذل كل التضحيات من اجل نجاحها.[2]

غادر الأمير القاهرة في 18 كانون الثاني وفي نفس اليوم توفي الخديوي محمد سعيد وتنصب خلفه [3] ولي عهد شرعي ابن أخيه إسماعيل وهو اكبر أمراء العائلة المالكة، كان الخديوي الجديد معارضا تصميم مشروع التنمية الزراعية المتضمن في الخطة الأساسية لشركة القناة.[4]

و حين نشبت هذه الأزمة بين الشركة وبين الحكومة المصرية سنرى الطرفين يتوجهان إلى الإمبراطور نابليون للفصل بينهما [5]

نفذ قرار نابليون الثالث التحكيمي في مصر بين نهاية العام 1865 ومطلع عام 1866 وأعيدت كامل الملكية العقارية المتنازل عنها سابقا للشركة للحكومة المصرية بما فيها، هدية المترل والأرض

[1] – برنو ايتين، المرجع السابق، ص411.

[2] –نفسه، ص 412.

[3] – عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص99.

[4] – برنو ايتين، المرجع السابق، ص 414.

[5] – عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص90.

الواقعتين في بير أبو بلح وهي محلة بين الإسماعيلية والتل الكبير المقدمة من طرف فرديناند دليسبس ووفقا لإرادة إسماعيل، وهكذا شطب نهائيا المشروع الذي كان يداعب مخيلة دليسبس.[1]

و من خلال هذه التحليلات الموجزة يتضح لنا أصالة الأمير عبد القادر وما قدمه للثقافة العربية الإسلامية في عصر النهضة ويتضح لنا ذلك أن منطلقاته كانت عربية إسلامية، وتظهر نزعته الوطنية فيما كان يفتخر بانتسابه إلى النسب العربي والأمة العربية حيث قال: ((و الأمم وإن كانت تفي بالعهد وتستقبح الغدر والكذب، فالأمة العربية أكثر واشد من جميع الأمم في ذلك لأنهم في جاهليتهم كانت لهم نفوسا زكية وأخلاق مرضية وأفعال كريمة وهمم عظيمة وعقول راجحة ووآراء ناجحة وشرف صميم وأنفة من كل خلق ذميم طبعته خصال الفضل والمروءة قبل أن تكون بينهم النبوءة [2].

2-1الأمير ومشروع الدولة العربية في بلاد الشام:

في خضم تلك الأحداث والتي يمكن القول فيها بان الأمير بادر بالتدخل في أحداث الفتنة الطائفية بالشام من تلقاء نفسه، أو بدافع الشعور بالمسؤولية الروحية والإنسانية أم أن الفرنسيين أعطوه الدور وهيئوا له الأمر ليكون رجل لإطفاء لتلك الحرب الأهلية، فالمؤكد أن شخصية الأمير الإسلامية هي السبب الأول [3] إضافة إلى أن الوجهاء في بلاد الشام كانت لهم أسباب قوية في اختيار عبد القادر في غيابه ليقود حركتهم بالاستقلال عن تركيا ويؤسسوا دولة عربية يكون هو ملكها حيث ربطوا بين هذه الدولة العربية التي يسعون إليها، وبين الدولة العربية التي أقامها في الجزائر، وربطوا بين كفاحه في هذه الدولة وبين الكفاح الذي ينتظرهم.[4]

---

[1] – برنوا ايتين، المرجع السابق، ص 430.

[2] –إسماعيل زروخي، **مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة** ، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 14، منشورات منتوري، قسنطينة ،2000، ص95 .

[3] – عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص57.

[4] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر في المشرق**، المرجع السابق، ص31.

و يقول في هذا الصدد عادل الصلح حفيد احمد باشا الصلح [*](انظر ملحق ص 3): " لقد اختار أهل الديار الشامية الأمير عبد القادر الجزائري ليكون على رأس حركتهم ورئيسا للدولة التي عزموا على إنشائها وذلك لشرف نسبه ولأنه بطل قومي مجاهد وسياسي قدير فذ ورجل علم وأخلاق ومكارم ولأنه سبق وأن انشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط وناضل في الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالا كان أسطورة ذلك وآيته وأعجوبته، واحتل بذلك في الأمة العربية مرتبة عز نظيرها".

و يتابع عادل الصلح " وقد اصطفاه أهل الديار الشامية دون أن يخطر لأحدهم انه ليس من أهل المشرق، وأن المشرقي أولى منه بهذه الولاية لان النزاعات الإقليمية لم يكن لها أي اعتبار في ذلك الزمن فكان ابن الجزائر وابن دمشق وبغداد، وبيروت، وسائر بلاد العرب موطنا عربيا قبل أي شيء آخر.[1]

إن فكرة تنصيب الأمير كما ذكر سالفا كانت قد ظهرت على يد بعض الأعيان المسيحية ومن بينهم يوسف كرم(أنظر ملحق ص107) الذي وضع مشروعا لقيام كونفدرالية شامية تضم المسلمين والمسيحيين ويكون على رأسها الأمير عبد القادر.[2] (أنظر ملحق رقم 3ص(45)).

و إذا افترضنا أن شهادة عادل الصلح عن طريق جده هي شهادة المسلمين السنة، فما هي شهادة المسلمين الشيعة؟

[*] -**احمد باشا الصلح**: هو من عائلة مغربية سنة وزعيم حركة الأعيان، كان قد شارك في جيوش السلطان التي أخرجت جيش محمد علي من الشام، واتهم بأنه غذى الأزمة التي فجرت المذابح المسيحية في سوريا عام 1860، كان يعمل على التقريب بين السنة والشيعة وقد برز أبنائه لاسيما منهم محمود الذي اعتبر ابرز نجباء ذلك العهد، اشتغل محمود قاضيا وخطب ابنة الأمير عبد القادر ولكنها توفيت و لم يعمر بها. انظر:(عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص67).

[1] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص(96- 98).

[2] – عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص65.

إن شهادة الشيعة حول هذه الواقعة اشد وقعا من شهادة السنة وذلك أنها تأتي من أهم علماء الشيعة بل وأخطرهم إذ يقول محسن الأمين* عن عمه محمد الأمين* (أنضر ملحق ص2) ، الذي كان في عصره من أكبر زعماء البلاد الشامية وذوي الرأي النافذ فيها ، والذي كان حاضر في مؤتمر دمشق، ويذكر نفيه من قبل الحكومة العثمانية الى طرابلس حيث يقول : "وحدث أن سبب نفيه إلى طرابلس انه اجتمع جماعة من عظماء سورية منهم المترجم واحمد باشا الصلح وغيرهما، وقرروا إنشاء دولة عربية واختاروا لها الأمير عبد القادر الجزائري وخابروه بذلك واجتمعوا وكانت كتب السيد محمد الأمين ترد إليه في دمشق ويكتب في أعلاها دار الإمارة، فعلمت بذلك الدولة العثمانية فكان سبب نفيه إلى طرابلس.."[1]

إن التحليل يقودنا إلى التساؤل: هل هذا التقارب بين الأمير والشيعة جاء نكاية بالدولة العثمانية عدوة الدولة الشيعية الصفوية في إيران؟

إن هذا يقودنا ليس إلى الإقرار بالفكر العربي لدى الأمير عبد القادر بل وبعبقرية فذة في تفاصيل هذا الفكر، والشيعة في لبنان والذين يقطنون منطقة الجنوب الجبلية التي تسمى جبل عامل هم أكثر الشيعة في العالم الإسلامي عروبة، إذ هم أنفسهم قبيلة بني عاملة المهاجرة من اليمن والذين كان لهم دور كبير في مؤتمر دمشق[2]، حيث يقول عادل الصلح عن الأستاذ جابر آل صفا في كتابه تاريخ جبل عامل أسماء ممثلي الجبل في هذا المؤتمر فيقول: "وكان ممثل جبل عامل في ذلك المؤتمر العالم الجليل السيد محمد الأمين من إشراف الحسينيين سكان الشقراء – جبل عامل –

---

* - **محسن أمين** : هو الامام المشتهد ،(ت 1953) والذي كان في عصره مرجعا أعلى للمسلمين الشعيين وعرف بنزعته الاصلاحية التجديدية ،والسيد محسن امين معدود في الشيعة كالشيخ محمد عبده في السنة حيث الدعوة الاصلاحية وهو فضلا عن مكتنته الدينية كان من نظار المناظلين ضد الاستعماريين الانجليزي والفرنسي في البلاد العربية وله في ذلك مواقف مشهودة انظر عادل الصلح المصدر السابق،ص52-53.

* – **محمد الامين**. كان في عصره من كبار وزعماء البلاد الشامية ذو الراي النافذ فيها انظر عادل الصلح المصدر السابق ، ص53.

[1] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي بالمشرق** ، المرجع السابق، ص100.

[2] – نفسه ، المرجع السابق، ص(33-34).

والنبيل الحاج عسيران، رأس الأسرة العسيرانية المعروفة في صيدا والشيخ علي الحر الجبعي، وشبيب باشا الأسعد الوائلي، وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر اشترك فيه الشيعيون للنظر في استقلال سوريا وفصلها عن جسم المملكة العثمانية، عقد سرا في دمشق في نهاية الحرب العثمانية سنة 1878"[1].

إذن هنا تظهر لنا ملاحظة مهمة، فالشهادات السابقة المسلمة والمسيحية، تؤكد أن مشروع قيام دولة عربية مستقلة عن تركيا ليس اختراعا وفبركة، كما انه ليس مشروعا استعماريا فرنسيا انجليزيا كما حاول الطورانيون وأدعياء الدين من أتباعهم تصويره[2] .

و معهم جواسيس فرنسا وبريطانيا المنتشرين في المنطقة، بل هو مشروع عربي خالص، يقوم على الشراكة بين المسلمين والنصارى قوامه التوافق، وليس الضم، يراعي حق الله وحق العباد وسلامة البلاد، وهذا كله يتفق مع فكر الأمير، وتطور منذ أن كان فتى يافعا تحت راية أبيه[3].

2-2 موقف الأمير من الاقتراح:

وافق الأمير على المقترح الكونفدرالي شرط الإبقاء على العلاقة الروحية مع السلطة العثمانية مرجئا التفكير في تنفيذه إلى ما ستسفر عنه معاهدة برلين بين روسيا والدولة العثمانية[4].

و أن يبقى الخليفة العثماني خليفة المسلمين وأن تتم البيعة للأمير من أهل البلاد جميعا[5].

وفي خضم ذلك شاء الأعيان أن يوسعوا إطار التعريف بمشروعهم فقرروا إرسال وفد إلى أوروبا لاطلاع قادتها على فكرتهم بإنشاء دولتهم في الشام مستقلة عن الباب العالي[6] ،و ترك الأمير

---

[1] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص96.

[2] – سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص34.

[3] – نفسه ، ص35.

[4] – عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص 68.

[5] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص 100.

[6] – نفسه ،ص104.

دمشق ليقوم برحلات دعائية في مختلف أنحاء البلاد بصحبة أعيانها، وكان من المدن والمناطق التي زارها الأمير صيدا وجبل عامل *، ويافا، والقدس ،و نابلس وبعلبك وغيرها. ويذكر عادل الصلح عن والده عن الأثر الذي تركته هذه الزيارات في نفوس زعماء البلاد وكيف أن أهالي المدن التي حل فيها الأمير والقرى التي مر بها اخذوا بما شاهدوا من روعته وتقواه[1]

و لكن تجدر الإشارة إلى أن الرجل وافق على الفكرة من حيث المبدأ، أما من ناحية الإعلان عنها فارتأى ضرورة انتظار نتائج الحرب التي تخوضها تركيا مع روسيا من جهة، وأن فكرة الاستقلال العربي يجب أن تركز على رفع المظالم عن الأمة العربية، وليس لإضعاف الدولة العثمانية أمام أوروبا التي تنتظر الفرصة لاحتلال البلاد العربية [2]، وفي فترة التريث هذه كان الأمير يقوم بالإعداد لهذا المشروع كما سلف الذكر من قبل.

في عام 1877 كان لدى الأمير ستة آلاف مقاتل من المدربين على القتال [3] الذين نزحوا عن الجزائر مع الأمير خلال غيابه في منفاه، وبعد قدومه إلى دمشق وفدوا إلى ديار الشامية وانتشروا فيها جماعات، وكان الأمير ورجال الحركة يعتبرون هذه الجماعة المدربة على القتال نواة محاربة يستعان بها عند الاقتضاء[4]

* – يروي العلامة العاملي السيد عبد الرزاق الرءوف فضل الله عما سمعه من الشيخ موسى مغنية والذي كان حاضر في بلدة بنت جبيل من جبل عامل زيارة الأمير عبد القادر للشيخ موسى شرارة، وعن الترحيب الذي لقيه الأمير في زيارته لهذه البلدة وقبوله ضيافة الحاج سليمان بري، وكيف أن الشيخ محمد حسن مروة الملقب بالحافظ ألقى أمام الأمير في مجلس الشيخ موسى شرارة خطبة (الشقشقية) الشهيرة للإمام علي وغير ذلك من شؤون تلك الزيارة، انظر:(عادل الصلح، نفسه،ص104)

[1] – نفسه ،ص 100

[2] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق، ص36.

[3] – نفسه ،ص (36،37) .

[4] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص106

2-3 موقف الدولة العثمانية من المشروع:

لقد تفطن سعاة البريد إلى هذا المشروع، وبدأت الشكوك تساور الحكومة التركية، و لم يكتب النجاح لهذا المشروع، فبانتهاء حرب القرم حولت الدولة العثمانية لاهتمامها نحو الأوضاع الداخلية وعلم السلطان عبد الحميد الثاني بمشروع الاستقلال العربي، واتخاذه لخطوات إجرائية، وهذا أمر طبيعي، أن يكون موقف الدولة العثمانية بهذا العنف، اعتراضا على المشروع ومعاقبة منشطيه . فلم يتردد جودة باشا الوالي العثماني في الشام من اتخاذ قرار الحجز على بعض الأعيان، ومنع البعض الآخر من الاتصال بالأمير منهم(احمد باشا الصلح الذي كان قد حمل للأمير قرار مؤتمر الأعيان بتوليته) وبعد عزل جودت عين مدحت باشا مكانه فعمل على إصلاح الوضع، فربط الصلة من جديد بين الأعيان وبين الخليفة، إذ الخليفة عبد الحميد سعى إلى أن يحدد من سياسة الباب العالي بما استفاد من دروس استخلصها من الحرب الروسية العثمانية.

2-4 لماذا أوقف الأمير المشروع؟ وطوي المشروع ؟ .

منذ 1860 أبلغ الأمير أعيان الشام وخاصة الدروز أن الدول الكبرى تنتظر حتى تحين الفرصة لابتلاع بلاد الشام، ويعلم أن الدولة العثمانية إن فقدت البلاد العربية التي تحكمها بالظلم والجور والاستبداد ستتضاءل وتنكمش، وبالتالي يعلم أن أجهزة الجوسسة من كل صنف ولون تخترق هذه البلاد لذلك كان حريصا على السرية وعلى نفي علاقته بالمشروع.[1]

و لكن رغم هذه السرية فقد بدأت قناصل الدول تتقرب من الأمير، كل منهم يأمل أملا في أن تكون المملكة العربية الموعودة تابعة لدولته، ففرنسا تعتبر أنها الأحق بحكم علاقتها مع الأمير وبريطانيا تعتبر أنها الأحق فلا خصومة لها مع الأمير، وكلاهما تخشيان من أن تمتد هذه الدولة العربية ولا تكتفي بالشام والعراق، ففي الحجاز وفي عسير بالذات هناك السنوسيون الذين طالبوا

[1] سهيل الخالدي، **جيل قسما**، تأثير الثورة الجزائرية في الفكر العربي المعاصر، ط1، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007ص .27.

الأمير بان يكون ملكا عليهم، بل إن بعض نواحي الخليج العربي سترحب بهذا الملك ما دام على المذهب المالكي الذي كان منتشرا فيها، وأما في العراق فلن يتأخر شيعته عن الانضمام إلى مملكة يشارك في تأسيسها شيعة لبنان، والأكثر من ذلك رأت الدولتان الاستعماريتان المتنافستان على مصر، إن مصر نفسها تكاد تخرج من أيديهم، فقد كتب حزب مصر الفتاه الذي كان تحت التأسيس إلى الأمير عبد القادر عارضا عليه رئاسة الحزب، إذن فهذا المشروع خطير ستتناهشه الدول الكبرى، وإن لم تنجح في طيه تحت إبطها وستتحالف مع الدولة العثمانية نفسها لوأده، كما فعلت من قبل مع محمد علي ومشروعه ،إضافة الى تقدم السن بالأمير .[1]

ولقد توالت عدة أحداث على العالم العربي متلاحمة مسرعة (الحرب بين ايطاليا والدولة العثمانية من اجل طرابلس الغرب، ثم تلتها حرب البلقان واستولت دول هذه المنطقة على القسم الأكبر من تركيا الأوربية ثم تلتها الحرب العالمية الأولى، واكتمل في أعقابها انفصال جميع المقاطعات غير التركية ومنها الأقطار العربية، وبعدها الحرب العالمية الثانية، ونشبت الثورات ضد المستعمر) واخذ الناس بهذا البركان من الحروب والثورات التي لا تهدأ وشغلوا بها عن كل ما عداها، واستأثرت هذه الحروب والوقائع على اهتمام الناشرين والمؤرخين، وضاعت في هذا الخضم من الحوادث الخطيرة أخبار حركة الاستقلال الشامية وعبد القادر[2]

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الحركة الاستقلالية العربية بقيت مدفونة في طيات التاريخ، ومن البديهي كذلك في استطاعة الأمير محمد ابن الأمير عبد القادر عندما نشر كتابه: تحفة الزائر سنة 1903 وعبد الحميد في الذروة من حكمه المطلق أن يشير إلى حركة استقلالية قام بها الزعماء العرب سعيا لنيل استقلال بلادهم برئاسة والده، وان لا ينشر شيئا عن هذه المحاولة الخطيرة أي مؤرخ أو كاتب في ذلك العهد، لاسيما وأن أبناء الأمير عبد القادر محمد وعلي ومحي الدين باشا

[1] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق** ،المرجع السابق ،ص 38.

[2] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص (137،138).

كانوا في ذلك الحين يتبوءون في الدولة العثمانية مناصب رفيعة سواء كان ذلك في دوائر المابين* أو في الباب العالي*[1]، وشارل هنري تشرشل لم يعايش هذه الفترة بكاملها ولعلها لم تكن تهمه بعد 1860، وليس لنا إلا أن نبرر سكوت هذين المؤرخين الهامين بـــأن كل منهما كتب من وجهة نظره، فشارل هنري تشرشل كتب من وجهة نظر بلاده انجلترا ومحمد من ناحية ولائه لدولة العثمانية[2]، فهناك بعض تنويهات مقتضبة، كالتي ذكرها السيد محسن الأمين في كتابه "أعيان الشيعة "، ومحمد جابر في تاريخ "جبل عامل "

و لقد ظهرت من بين الصفحات المطوية أو المسكوت عنها من تاريخ الأمير، صفحة تتفق وشخصية عبد القادر وسيرته السياسية والدينية والإنسانية، صفحة تقول لنا بان الرجل لم يكن في جيب الأتراك رغم علاقته الممتازة بالباب العالي، و لم يكن في جانب الفرنسيين رغم محاولاتهم الاستحواذ عليه، إذ هو رجل فيه مرونة بلا ضعف وفيه قوة بلا غرور.[3]

3- الخلاف العثماني الفرنسي حول المهاجرين الجزائريين وأثره على الأمير، وعائلته:

3-1 الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين الجزائريين :

كان المهاجرون الجزائريون بعد وصولهم إلى ميناء بيروت يتصلون بالسلطات العثمانية ،هناك

ويطلعنا سجل قنصلي وضعه القنصل الفرنسي للجزائريين في دمشق سنة 1892 عن معلومات وافية عن مستوطنة دمشق حيث تم في هذا السجل تقييد 387 رب عائلة ويتبع كل اسم معلومات عن صاحبه منها تاريخ القدوم الى دمشق وتاريخ أول تسجيل له في القنصلية الفرنسية

* - **دوائر المابين** :القصر السلطاني والدوائر التابعة له، انظر:(عادل الصلح، نفسه،ص146) .

* - **الباب العالي** :مقر الصدر الأعظم والدوائر التابعة له، انظر:(نفسه، ص146).

[1] - عادل الصلح، المصدر السابق، ص 146.

[2] -سهيل الخالدي ، المرجع السابق ص39 .

[3] - عادل الصلح، المصدر السابق، ص (145 - 147) .

،ومكان الولاة والحالة العائلية والمهنية مع العلم انه لم يتم تقييد أسماء كل المهاجرين ،ف الكثير من هؤلاء رفضوا ان تكون لهم أية علاقة أو اتصال بالقنصلية الفرنسية وفضلو من أول إقامتهم إعلان تبعتهم للدولة العثمانية مثل ما حصل مع جماعة بن سالم لذلك نجد من بين 196اسم الذي سجل تاريخ قدومهم الى دمشق ثلاثة فقط قدموا قبل 1840 و16شخص بين (1840 - 1849) و88شخص قدموا بين (1850-1859)،و74شخص قدموا بين (1860-1869)،ويتحول العدد الى النقصان من جديد فيتم تقييد ثلاثة فقط بين (1870-1879)،وأربعة بين (1880-1892)،وبالتالي هذه الأرقام لا تمثل الوجود الحقيقي للجزائريين الذين هاجرو بالمئات بل وصل عددهم الى الآلاف مع نهاية القرن التاسع عشر ولعل الذين كانوا من الذين هاجرو فرادى وبجوازات سفر فرنسية و لم يرتبط بجماعات كبيرة في حين كانت هذه الجماعات ملتزمة بعداوتها للفرنسيين الذين قاتلوهم واستولوا على ممتلكاتهم وأراضيهم للهجرة عن بلدهم ووطنهم .[1]

لقد كانت الصناعات الحرفية هي وسيلة عيش المهاجرين في دمشق وغالبيتهم كانوا يشتغلون في الصناعات النسيجية وقد تحول باب السوقية إلى شبه مصنع للغزل تنسج فيه كل أنواع المنسوجات وخاصة القطنية وتخصص بعض الأخر في صناعة الخبز أما من ليست له حرفة فكان يلتحق بالجيش العثماني بفرقة الفرسان أو المشاة ويشكلون أحيانا فرقا خاصة في دمشق كانت هناك سرية من الخيالة مؤلفة من 70 قبائليا، وحسب ما ورد في السجل فان عدد النساجين كان95 نساجا أي غالبية الحرفيين، إضافة الى الحرف الأخرى يذكرها السجل ومنها، الاسكافة والنجارة، وهناك 6 من تجار التبغ و 5 من البائعين المتجولين، و 8حراس و5 مشايخ(أي مدرسيين) أما التجار فكان عددهم حسب السجل 7، ونجهل نوعية وأهمية تجارتهم [2]، وبالنسبة للمساعدات المادية والمالية التي كان يمنحها العثمانيون للمهاجرين الجزائريين، فحسب تقرير عامل عمالة قسنطينة ما

[1]–نادية طرشون ،**الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847– 1911**، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ ،كلية الآداب، جامعة دمشق(1984-1985) ،ص148.

[2]– ناديةطرشون وآخرون، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق العربي أثناء الاحتلال** ،طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر ،ص273.

يلي :«.....وغداة وصولهم(يقصد المهاجرين الجزائريين) يتصلون برئيس المهاجرين، الذي يأخذ منهم كل المعلومات المتعلقة بهم ثم يسجلهم في دفتره ويعطي لكل واحد منهم سكنا او مسكنا»، وقد استعمل كاتب هذه الوثيقة عبارة (logement) الفرنسية دون ان يزيد شيئا ليوضح بواسطته المعنى الحقيقي لهذا السكن الذي يقصده هل هو مسكن عادي أو غير ذلك ؟ هل هو قربي؟ من الديس والقش ؟ أم هو خيمة بسيطة فراشها الأرض وسقفها لا يصمد لهبوب نسيم الصباح؟ هذه فكرة بسيطة عن المشاكل التي تعترض طريق الباحث المتعامل معها الوثائق الفرنسية[1]

وحسب بعض الوثائق الأخرى فقد كانت الدولة العثمانية لا تضمن للمهاجرين الذين هم في هذه الوضعية إلا الخبز لوحده وقد أكد ذلك احد المهاجرين الجزائريين الذي عاد الى وطنه « كنا نتسلم يوميا الخبز، خلال كل الفترة التي قضيناها في سوريا ولكن لم توزع علينا يوما ما التوابل والخضر أو اللحوم أو نحوها من أمور العيش التي تساعدنا

3-3 الخلاف العثماني الفرنسي حول المهاجرين الجزائريين:

تجدر الإشارة إلى أن وجود الأمير عبد القادر بين المهاجرين من العوامل التي ساعدت على تماسك الجزائريين وتلاحمهم باعتراف القناصل ،وكدليل على تلاحم الجزائريين في حياة الأمير، ما حدث بعد وفاته من ضغط مارسته عليهم السلطات العثمانية، لإجبارهم على تقييد أنفسهم في سجلات النفوس العثمانية وهذه السلطات كانت تعمل على إخضاع مجموعة تعد حسب أقوال القناصل، من أكثر أهل البلد شغبا وصعوبة في إدارتها، فذكرى تدخلهم في حوادث 1860 مازلت ماثلة في الأذهان، واعترفت هذه السلطات في الوقت نفسه بمدى قوتهم وبسالتهم في القتال الى درجة فكرت معها بعد وفاة الأمير عبد القادر سنة 1883 ،ان تؤلف من بعضهم فرقة شرطة

[1]- عمار هلال، المرجع السابق، ص151.

جزائرية تابعة لها، تستعين بها في يوم من الأيام لتحقيق مآربها والعثمانيون أدركوا مع قدوم أول فوج من الجزائريين، بزعامة أحمد بن سالم أن الهجرة قد تخلق لهم صعوبات في المدى البعيد [1]. وقد تؤدي الى خلافات بينهم وبين الفرنسيين، وشكوا في بقاء كل الجزائريين بعيدين عن الاتصال بالقنصليات الفرنسية، لذلك فظلوا من الأول اتخاذ سلوك الحيطة والحذر تجاههم، رغم تأكدهم من حسن نيتهم وهذا ما أدى الى بالسلطات العثمانية في دمشق الى توطين الفوج الأول من المهاجرين في المناطق الداخلية بعيدا عن السواحل حيث يكثر الأجانب أما الذين يحملون جوازات سفر فرنسية والقادمين لأجل تجارة، أو زيارة فلم تكن السلطات العثمانية تعرض سبيلهم ،مدام حضورهم للبلاد العثمانية هو حضور مؤقت ،إنما إذا ارادو الإقامة النهائية في البلد ،فان السلطات المحلية تطالبهم بالتخلي عن كل صلة لهم بالأجانب وخاصة القنصلية الفرنسية[2].

ووجهة نظر الفرنسيين كانت تقول أن كل جزائري خرج من الجزائر هو بطبيعة الحال فرنسي مدام ان الجزائر أصبحت من ممتلكات فرنسا والجزائريون من رعاياها، وهذا ما أدى الى خلافات عديدة وواسعة قامت بين الدولتين الفرنسية والعثمانية، و لم يتكلم الطرفان رغم محاولات العديد من الوصول الى حل أو قاعدة قانونية ترضي الطرفان، وبعد اخذ ورد ومشاورات عديدة توصل الطرفان سنة 1889 الاتفاق على مسودة اتفاق هدفه التهدئة، وإغلاق باب الخلاف الفرنسي العثماني بشان المهاجرين الجزائريين فاضطرت الدولة العثمانية [*] إلى التقدم بمشروع اتفاق وقبل الفرنسيين هذا المشروع[3]. وعن ذلك كتب السفير الفرنسي لدى اسطنبول السيد « منتيبال» الى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي يقترح عليه إن يطبق على الجزائريين تلك الإجراءات التي

---

[1]– ناديتي طرشون ،**الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق** ،المرجع السابق ،ص136.

[2]–نفسه، ص136.

[*] –كانت الدولة العثمانية في حاجة في هذه الفترة الى قرض من البنوك الفرنسية، وقد استغلت فرنسا هذه فرصة للضغط على الدولة العثمانية ودفعها لاعتراف بحق فرنسا في حماية بعض المهاجرين الجزائريين ممن استوطن في بلاد الشام ويرغبون في هذه الحماية، وقد اعترفت الدولة العثمانية ضمنيا، من خلال المشروع الذي تقدمت سنة 1911 بتبعية الجزائر لفرنسا. أنضر :(ناديتي طرشون ،**الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق** ، المرجع السابق ، ص 137).

[3]–ناديتي طرشون، نفسه ،ص 137.

طبقتها روسيا على الذين غادروا البلاد دون إذن منها، واستقرر بصفة مؤقتة، أو نهائية في الولايات العثمانية ومن بين ما اقترحه هذا الأخير إلغاء منح جوازات السفر للأهالي الجزائريين، وإبلاغهم بان الذين يتجاوزون القانون الفرنسيين، ويهاجرون إلى سوريا أو غيرها من الولايات العثمانية، ليس لهم الحق باي حال من الأحوال في التمتع بالحماية الدبلوماسية الفرنسية في الأراضي العثمانية، وبالتالي يجردون من (جنسيتهم الفرنسية) ويعتبرون متخلين عن أملاكهم في الجزائر التي يطبق عليها قانون مصادرة الأراضي وأملاك الثائرين ضد السلطات الفرنسية الصادر في سنة 1854[1].

وبموجب سناتوس كونسيلت 1865 الذي منح الجزائريين الجنسية الفرنسية، من دون ان يجعل منهم مواطنين فرنسيين، صدرت نشرتان وزاريتان الأولى في جانفي 1884 والثانية في افريل 1856 نظمت الشروط التي ترتبط بها حماية الجزائريين في بلاد المشرق[2].

3-4 موقف الدولة العثمانية من السياسة الفرنسية في المنطقة :

ان الدولة العثمانية لم تبد اعتراضا رسميا و لم تتقدم بوثيقة تحدد فيها الوضعية القانونية للمهجريين لبلد الشام قبل 1874، وعندما كانت القنصليات الفرنسية تتدخل في بعض النزاعات الخاصة بالجزائريين، ومبدية اهتماما وانشغالا خاصا بهم، كانت السلطات المحلية تبدي اعتراضا وتستمر في اعتبار الجزائريين مواطنين عثمانيين مثل بقية أهل البلاد، ولكن بعد الحرب الألمانية – الفرنسية شرعت الدولة العثمانية وموظفوها في سورية وفي غيرها من المقاطعات في الإعلان الرسمي عن موقف الدولة العثمانية من وضعية المهاجرين الجزائريين. فأعلن والي دمشق للقنصل الفرنسي سنة 1874 بأنه يستحيل عليه اعتبار المسلمين الجزائريين رعايا فرنسيين إذ بمجيئهم الى البلاد العثمانية يكونون قد استعادوا جنسيتهم الأصلية التي هي الجنسية العثمانية، وفي اكتوبر1875 وجه الباب العالي مذكرة الى السفارة الفرنسية في استانبول عرض فيها لأول مرة وجهة نظره من قضية

[1]- ناديةطرشون ،**الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق** ،المرجع السابق ،ص136.

[2]- نفسه ، ص 137.

المهاجرين، وأوضحت المذكرة ان هناك فئتين من المهاجرين : منهم من هم عابري السبيل وذوي مصالح تجارية أو صناعية وهؤلاء يتمتعون بالضرورة بالجنسية الفرنسية، ومنهم المقيمون والذين ليست لديهم نية العودة الى بلادهم وهؤلاء بحكم الواقع قد كسبوا حق المواطنة العثمانية، وهم يخضعون للقوانين العثمانية [*1]، لهذا أصرت الدولة العثمانية على المهاجريين الجزائريين أن يعلنوا عثمانيتهم حتى لا يشملهم نظام الحماية هكذا كان موقف الدولة العثمانية في البداية سلبي اتجاه المهاجرين في سوريا .

و لم تلبث ظروف دولية ومستجدات ان تضطر الدولة العثمانية الى اتخاذ مواقف أكثر صرامة تجاه الجزائريين الذين بقو محافظين بتبعيتهم الفرنسية رغم هجرتهم للبلاد العثمانية وإقامتهم فيها. ففرض فرنسا لحمايتها على تونس سنة 1881 بعد احتلالها للجزائر 1830، زاد وضاعف من تخوفات الدولة العثمانية وخشيت ان تكون لفرنسا أهداف وراء سياستها المتبعة في سوريا، أو ان يتحول الجزائريين المتمتعون بالحماية الفرنسية شيئا فشيئا الى عناصر تخدم المصالح الفرنسية في المنطقة. وفي برقية أرسلها القنصل الفرنسي في دمشق الى السفير في استانبول عن وضعية الجزائريين في بلاد الشام يخبره فيها انه أجرى اتصالات مع الوالي العثماني، بخصوص الجزائريين القادمين الى سورية بعد هجرة الأمير عبد القادر، وتبين له " ان الوالي قام مجددا بالتلميح للسلطان عن حلم لفرنسا لترع يد العثمانيين، عن هذه البلاد، وألح على ضرورة اتخاذ إجراءات سريعة لترع الجنسية الفرنسية عن الجزائريين لأنهم يشكلون على زعمه مقدمة لاحتلال قد يحصل عن قريب" ولاحظ

---

[*] –وتقدمت الدولة العثمانية بمذكرتها هذه اثر حادثة في دمشق حين ألزم مهاجر جزائري مقيد في القنصلية الفرنسية بالانضمام الى الجيش العثماني. فما كان منه إلا الفرار واللجوء الى القنصلية طلبا لحمايته وذلك معناه رفض العثمانيين ان يكون أي جزائري مقيم بلاد الشام متمتعا بالحماية القنصلية. انظر :(**الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق** ،المرجع السابق ، ص 142).

[1] –نفسه ،ص142.

القنصل " إن الوالي لم يتوقف منذ وفاة الأمير عبد القادر على إجراء اتصالات والقيام بمراسلات منتظمة مع الباب العالي"[1].

وفعلا شرع الباب العالي في الجانب التطبيقي وأكدت تعليماتها على تتريك الجزائريين الذين يهاجرون الى أراضيها في شكل جماعات بالأخص، إي أنها تعتبرهم بمجرد وصولهم الى أراضيها « أتراكا» وذلك ما نتجت عنه خلافات حادة بينها وبين فرنسا، اما فيما يخص الجزائريين الذين كانوا يشدون رحالهم الى الأراضي العثمانية فرادى فقد اعتبرتهم الدولة العثمانية « فرنسيين» تحت الحماية الفرنسية، ويؤشرون جوازات سفرهم بالتأشيرة الفرنسي عند وصولهم الى الأراضي العثمانية[2].

وإذا كان السلاطين الذين تولو ا قبل السلطان عبد الحميد * لم يبدو اهتماما جديا وانشغالا بهذه المسالة، فان السلطان عبد الحميد الثاني راي فيها خطرا كبيرا على امن الدولة العثمانية وسيادتها لذلك وقفت الدولة العثمانية، هذا الموقف المتصلب، وما هذا الموقف إلا مظهرا من مظاهر سياسة السلطان عبد الحميد الثاني الإسلامية والتي تجلت في شعار الجامعة الإسلامية والتي وجد فيها السلطان خير علاج لمواجهة أطماع وتدخلات الدول الأجنبية المتزايدة في شؤون البلاد العثمانية وخير وسيلة لتأليب الرأي العام الإسلامي ضد هذه الدول الاستعمارية وبالتالي لايصبح الإحساس بالخطر الداهم مقتصرا على الحكومة والسلطات السياسية من دون الأهالي . وسياسة كهذه كانت ترفض رفضا باتا ان يخضع مسلمون لحماية دولة أجنبية وخاصة فرنسا التي احتلت الجزائر ثم فرضت حمايتها على تونس وهاهي تتجه بأنظارها الى بلاد الشام[3].

---

[1]–ناديتي طرشون، **الهجرة الجزائرية الى بلاد الشام**، المرجع السابق، ص 137.

[2]–عمار هلال، المرجع السابق، ص 56 .

* – هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية ، حكم في فترة ما بين1876-1909.
انظر:(محمد الصلابي ، **الدولة العثمانية عموامل النهوض واسباب السقوط** ،ط1، المكتبة العصرية ، لبنان ،2007.)

[3]–ناديتي طرشون، **الهجرة الجزائرية الى بلاد الشام**، المرجع السابق، ص 137.

وبالتالي فانه من غير الممكن القول ان الجزائريين كانوا يرفضون المواطنة العثمانية، أو كانوا يرغبون في طلب الحماية الفرنسية ويلحون عليها مثلما كان يدعي بذلك القناصل الفرنسيون، فالجزائريون جاؤوا فارين بأنفسهم وعائلاتهم من الحكم والظلم الفرنسي، طالبين الحماية العثمانية والعيش في كنف البلاد الإسلامية وتحت ظل حاكم مسلم.

3-5 أثر الخلاف الفرنسي العثماني حول المهاجرين على الأمير وأسرته:

لقد كان من المواقف الفرنسية التي اتخذتها ضد المهاجرين الجزائريين، أنها منعتهم من زيارة الجزائر ثانية، وقد طال ذلك شخصيات سياسية مثل الأمير علي وشخصيات أخرى[1]، وقد اعتبرت فرنسا الجزائريين في الشام من رعاياها، وغرباء عن وطنهم كما كانت تخشى تأثيرهم خاصة حين دخل الأمير محي الدين الجزائر خلسة ليلتحق بثورة المقراني، كل هذا أدى بفرنسا الى تشديد عقوباتها على المهاجرين وهو الأمر الذي أثر على المهاجرين وعلى الذين كانوا يرغبون في الهجرة لان فرنسا بإصدارها لتلك القوانين التعسفية لإخماد الهجرة زادت وأزكت في نفوس الجزائريين العزم والإقبال عليها مهما كلفها من المشاكل والمتاعب وتكون سببا في انتشار الاضطرابات الثورية[2]. ونتيجة لهذه الخلافات طلب والي سوريا العثماني حمدي باشا قرار من حكومته بأن تسعى الى ابعاد الأمير عبد القادر والمهاجرين من سوريا [3]. وبوقف إسكان المهاجريين الجزائريين، وذلك بسبب شكها في وطنية هؤلاء، وهذا راجع الى بعض الدسائس الكبيرة من طرف الفرنسيين[4].

---

[1]- صالح لميش، **الدعم السوري لثورة تحرير الجزائري**، ط1، دار بهاء، الجزائر، ص84.

[2]-محمد غالم، **الوثائق الفرنسية والهجرة الى الديار الإسلامية** مجلة إنسانيات، العدد 12، وهران، 2000، ص 28.

[3]-صالح لميش، المرجع السابق، ص 137.

[4]- الأمير سعيد ، **مذكراتي** عن القضايا العربية والعالم الإسلامي ، ط2 ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، **الجزائر** 1968 ، ص 137.

وبعد وفاة الأمير سنة 1883 بدأت المواجهة صراحة بين الولاة والقناصل الفرنسيين فالأمير كان بمثابة الحاكم على الجزائريين ومرجعا لكل الخلافات التي تخصهم. ومباشرة بعد وفاته تنافس العثمانيون والفرنسيون لاكتساب أبناء الأمير عبد القادر لأنه في استمالتهم استمالة لبقية المهاجرين الجزائريين وبهذا الخصوص وجه الباب العالي سنة 1884 تعليماته السرية الى والي دمشق حمدي باشا جاء فيها :"عليكم بالإسراع في إبعاد عائلة الأمير عبد القادر عن فرنسا، وعدوا أبنائها بالامتيازات والأوسمة والنتيجة تكون مهمة إذا ما توصلتم إلى ذلك، لأنه بواسطة عائلة الأمير سنكتسب كل الجزائريين المقيمين في بلاد الشام، وهذه الوسيلة الوحيدة التي نترع بها عن فرنسا كل سبب للتدخل في شؤون هذه البلاد القريبة من مصر والتي هي سبب الاختلاف الموجود حاليا بين هذه الدول وهنا سيظهر الانقسام بين أولاد الأمير، بين الحكومة العثمانية وفرنسا [1] . وهذا ما سنعرفه في الفصل الأخير.

[1]- ناديةطرشون، **الهجرة الجزائرية الى بلاد المشرق**، المرجع السابق، ص ص (145 - 146) .

ترك الأمير عبد القادر عشرة أبناء، دون البنات وكانوا من أمهات مختلفات وقد ذكرت بعض المصادر أن ابنه البكر محي الدين توفي سنة 1837، ومن العشرة الذين عاشو بعده ،ومنهم من اشتهر في التأليف أو في السياسة، أو في الشؤون العسكرية، ولكن منهم من لا نعرف عنه شيء الا القليل مثل عبد الله وعبد الرزاق وأحمد، أما من حيث التبعية الدولية [1]، وفور وفاة الأمير عبد القادر بدمشق 1882، سعت الدولتان العثمانية والفرنسية لاستقطاب ولاء أولاده وبذلت لهم من الأموال والمغريات الشيء الكثير، فموت الأمير جعل أولاد الأمير كما وسبق الذكر ينقسمون الى قسمين على الأقل قسم انحاز الى الدولة العثمانية، وقسم انحاز الى الدولة الفرنسية ومن الصعب عليهم عندئذ أن لايختارو هذه أو تلك وأن يقفوا موقف الحياد الممكن كما فعل الأمير نفسه خصوصا بعد 1870[2].

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830– 1954)**، ج (5 – 6)، ط2، دار البصائر، الجزائر، ص 55.

[2] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق ،ص (78 – 79) .

1- نشاط الأسرة المؤيد لدولة العثماني :

من المعروف أن أبناء الأمير الذين ارتبطوا بالدولة العثمانية هم : محمد ومحي الدين وعلي، وقد عرف عمر وأحمد وعبد الرزاق، أنهم بقو ا على علاقتهم بفرنسا، أما الهاشمي فقد سمحت له السلطات الفرنسية في الجزائر بالرجوع والإقامة في بوسعادة مع أبنائه، ولعلهم سمحوا له بالرجوع لأنه كان فاقد البصر، أما عبد المالك فقد انضم في الأول للفرنسيين ثم حاربهم ولا ندري انتماء انتماء عبد الله الى الآن[1]

1-2 الأمير محمد

من الأبناء الذين والو الدولة ا العثمانية اشتهر في العالم الإسلامي أكثر من بقية إخوته، فقد كان الأمير محمده باعتباره أكبر الإخوة هو المتحدث باسم ورئيس العائلة، هو الذي كتب سيرة والده وضمنها تاريخ الجزائر الى 1852، أي تسريح الأمير من السجن الفرنسي[2].

وكان محمد مواليا للسلطان عبد الحميد وسياسة الجامعة الإسلامية، وقد عرف الشيخ محمد عبده، ولعله عرف أيضا السيد جمال الدين الأفغاني، لأن الأمير محمد كان ينتقل أيضا الى اسطنبول حيث كان الأفغاني يقيم في سنواته الأخيرة.

وقد انتهى الأمير محمد من تأليف تحفة الزائر، في نفس العام الذي توفي فيه الأفغاني (1897) وأهداه الى السلطان عبد الحميد، ووصل الأمير محمد الى رتبة جنرال في الجيش العثماني، كما حصل على لقب باشا وقد ذكرت بعض المصادر سنة 1907 أنه كان يقيم في اسطنبول، وليس له أولاد [3] ومعروف أن ولاء الأمير محمد للدولة العثمانية لا غبار عليه فهو يكثر من الدعاء الى سلاطينه ولا شك أن هذا الولاء الواضح للدولة العثمانية قد كلفه قضب أو على الأقل شك

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 – 6**، المرجع السابق، ص551 .

[2] - نفسه، ص551 .

[3] - نفسه، ص 552.

الفرنسيين فيه، ومع ذلك لا نجد عاطفة عداء قوية ضد الفرنسيين، فوصفه لهم أثناء كتابة وصف محايد[1] .

1-2 الأمير علي:

سجل التاريخ للأمير علي دورا هاما في المجال السياسي، وهو الوحيد من أبناء الأمير الذي لعب دورا سياسيا معتبرا في بلاد الشام، وكان باعتراف القناصل الفرنسيين أكثر أبناء الأمير ذكاء وفطنة وشجاعة، كما كان شديد الكره للفرنسيين [2]، في المقابل فتح السلطان العثماني الباب واسعا للأمير علي للعمل السياسي، حين سمح له بالدخول الى البرلمان العثماني، الذي يسمى مجلس المبعوثان ويكون أحد نائبي دمشق، ثم اختاره ليكون [3]، نائبا لرئيس هذا المجلس [4]، وقيل عنه سنة 1907 أنه هو الرئيس الفعلي للعائلة رغم وجود أخيه أمير محمد رئيسا نضريا لها، ربما لكبر سنه [5]، وتقول المصادر الإعلامية ان الخليفة العثماني عين الأمير علي مندوبا عن دمشق باقتراح من الأمير شكيب أرسلان عام 1914[6]، وكان الأمير علي يملك أراضي شاسعة وأملاك في حوران وكان له عدد من الأولاد كما أن الفرنسيين حاولوا جره والاستفادة من نفوذه في المشرق.

ولكنه لم يمل إليهم، ومن أبرز مواقف الأمير علي حربه في الجيش الإسلامي (العثماني) ضد الايطاليين في ليبيا سنة (1911- 1912) الى جانب عدد من الضباط العثمانيين، منهم أنور باشا ونوري بيك ومصطفى كمال (أتاتورك مستقبلا)، أما الموقف الثالث الذي جعل الأمير علي يبرز فهو الدور الذي لعبه أثناء الحرب العالمية الأولى كواسطة ومتكلم رسمي باسم أخيه عبد الملك

---

[1] – أيت يحياتن يحي، **رموز من عمق الجزائر**، منشورات السهل، 2009، ص 137 .

[2] – ناديا طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق**، المرجع السابق ،ص 197.

[3] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق، ص 78.

[4] – نفسه، ص 80.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق ،ص 552 .

[6] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق ،ص 80.

الذي أعلن الثورة ضد الفرنسيين في المغرب الأقصى [1]، أما موقفه من الجامعة الإسلامية، فكان الأمير علي من المدافعين عنها، وقد اكتسب مكانة خاصة في عهد السلطان عبد الحميد [2] .

وكان الأمير علي باعتباره ولد للأمير عبد القادر كان يحمل في نفسه أمل إبقاء الملايين من المسلمين في الهند ومصر وفي تونس والجزائر ومراكش وطرابلس الغرب، وأنه كان يرى ضرورة استقلال هذه الامم المحمدية وانضمامها الى الخلافة الكبرى .

وسبب انضمام الأمير علي الى الجامعة الإسلامية، أن ذلك يعود الى سببين أولهما، أنه سليل نبي الإسلام، وثانيها لأن الجزائر بلده ودار ملكه محتلة وأهله مغلوبون على أمرهم يعانون تحت وطأة الاحتلال وما نتج عن هذا الاحتلال من أوضاع اقتصادية واجتماعية وثقافية متردية ،و القوانين الفرنسيين التي جعلت الكثير من الجزائريين يهاجرون خارج بلدهم تاركين وطنهم، باحثين عن الأمان والعيش في وطن آخر.

ولعل هذا السبب الأكبر الذي دفع الأمير علي للانضمام الى الجامعة الإسلامية [3]، بالاضافة أنه كان متزوج بشقيقة عزت باشا العابد أحد أعيان سورية، والكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد [4] ولعله كان من مصلحة الأتراك استمالة شخصية عربية مثل الأمير علي للمكانة التي يتمتع بها في المنطقة، ولعل أهم موقف سياسي للأمير علي هو موقفه الساعي بشدة لاستقلال الجزائر عن فرنسا فقد أسس الأمير علي [5] في دمشق جمعيتين تعملان لاستقلال الجزائر، أو هي جمعية واحدة على مرحلتين كان اسمها في المرحلة الأولى جمعية مهاجرين شمال إفريقيا، وأخذت في المرحلة الثانية

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق، ص (552 – 553) .

[2] – ناديا طرشون ،**الهجرة الجزائرية الى بلاد الشام (1847 – 1911)**، المرجع السابق ،ص 197 .

[3] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق، ص81 .

[4] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق، ص555 .

[5] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق ،ص (82 – 83) .

اسم جمعية مجاهدي شمال إفريقيا، وقد ترأس ابنه سعيد هذه الجمعيات اعتبارا من عام 1915 وحتى لآن لا توجد أية دراسة جزائرية وغير جزائرية عن هذه الجمعيات [1] .

وعند اندلاع حرب طرابلس 1911 كان عمره 48 سنة، وقد نزل درنة وطرابلس ثم بنغازي (بني غازي) ثم طرابلس، وكان يحمل فكرة عظيمة فيما يبدو، وهي طموح والده، والانتقام له، إذ قال في دمشق وهو يستعد لتوجه لليبيا :" والدي قاوم الفرنسيين ربع قرن، وأنا سأقاوم الايطاليين في ليبيا مدى الحياة ".، كما كان مقتنعا بدفاعه عن أرض العروبة والإسلام.

وعندما حل بليبيا استقبله الناس بحفاوة خاصة، و لم تخل الاحتفالات من الجو الديني والصوفي أيضا، فحين أراد التوجه الى مصراتة أقيم له احتفال ضخم من قبل الطريقة القادرية، وقد دخل الأمير علي على ضريح المرابط سيدي عبد الهادي وصل هناك العصر ثم خطب في الناس [2] .

كما زار الأمير علي تونس والتقى بابن أخيه الهاشمي والأمير خالد، الذي كان ضابطا في الجيش الفرنسي ن كما التقى ببعض أقاربه، بعد ذلك رجع الى سوريا [3] .

رغم أن الأمير علي كان محسوبا على العثمانيين كما رأينا، فانه واجه سنة 1916 الاتهام بعدائهم وهو اتهام له عواقب وخيمة، ولذلك وضعوه في أحد سجون أناضوليا في نفس السنة التي أعدم فيها جمال بشا والي الشام، مجموعة من زعماء العرب ومن ضمنهم أخوه الأمير عمر، وجزائريون آخرون مثل سليم السمعوني، ويقول أحد الدراسيين أن الأمير علي قد حافظ على خيط من الصلة مع الفرنسيين.

[1] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق ، ص 83 .

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق، ص553 .

[3] – نفسه ،ص554 .

و لم ينجح الأمير علي في إنقاذ أخيه من المشنقة سنة 1916، ولا إنقاذ ابنه عبد القادر فلم يستطع أن يلبث الأمير علي على نفسه حتى توفي سنة 1918 [1] .

1-3 الأمير محي الدين :

لقد حضى محيي الدين بن عبد القادر بالتقدير من طرف المسيرين العثمانيين بالشام ومنحه السلطان العثماني نيشان الدرجة الثالثة، وأسند إليه وضيفة أزمير القضائية عام 1865، وفي عام 1870 مرض فأذن له أبوه في الذهاب الى الإسكندرية للاستشفاء والراحة [2] .

فكان يتوق للعودة الى النضال والجهاد الذي تخلى عنه والده [3]، ولذلك فبمجرد وصوله الى الإسكندرية للاستشفاء، غدرها الى تونس على غير علم أبيه خلال شهر أكتوبر 1870 فاستقبلته الدوائر الرسمية التونسية بحفاوة بالغة ومنحه الباي محمد الصادق نيشان الافتخار التونسي يوم 18 نوفمبر 1870، وهناك حرر ما يقرب 200 رسالة لأصدقائه بالجزائر كي يتهيأو لمحاربة فرنسا* عند وصوله، وأرسلها مع الرسل الخفية [4] الى الأعيان ومنهم عائلة المقراني، والتي كان له دور كبير فيها ويقول البعض أن الأمير عبد القادر قد غضب على ابنه لأنه يعتقد أن مقام به كان مجازفة، ومع ذلك فلم يرجع الأمير محي الدين الى سورية إلا في يوليو 1871.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق،ص555.

[2] – يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، المرجع السابق2009، ص527 .

[3] – عادل الصلح، المصدر السابق، ص23 .

* – ليس بعيد أن يكون وجود الأمير محي الدين في الجزائر هذه الفترة قد تم بتخطيط ومباركة من الباب العالي خاصة، وأنه أصبح يحتل مكانة مكانا مهما في الدولة العثمانية .أنظر:(عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص110) .

[4] – يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية** ، المرجع السابق، ص 528 .

كانت الثورة في الجزائر عندئذ قد ضعفت، وقتل الحاج محمد المقراني، وسجن الشيخ الحداد واستسلم الشيخ عبد العزيز وأخوه محمد، و لم يبقى إلا أحمد المقراني بو مرزاق الذي أخذ في الانسحاب بأتباعه نحو الجنوب [1] .

وبعد وفاة والده واصل ولائه وعلاقته بالدولة العثمانية ويبدو أن الأمير محي الدين، وأخاه محمد قد اقتنعا بسياسة الجامعة الإسلامية رغم ضغط السلطات الفرنسية [2]، من خلال قناصلها في المشرق وسفيرها في اسطنبول.

وفي هذا النطاق حضى بترقية السلطان عبد الحميد الى رتبة جنرال شرقيا، كما عينه مساعدا له سنة 1888، ثم كلفه بمقاومة الدعاية الفرنسية في الشام بين أبناء الجالية الجزائرية، فقام بذلك انطلاقا من بيروت ثم دمشق [3] .

وتجدر الإشارة الى أن السلطات الفرنسية عرضت عليه بعد وفاة أبيه نفس الراتب الذي كانت تعطيه على أن يضل تحت رعايتها، فأبى محي الدين ذلك وقبل الراتب الذي عرضه عليه السلطان عبد الحميد [4] .

ومن المهام التي كلف بها الأمير مي الدين أيضا تحسين العلاقات بين الدولتين العثمانية والمغربية في عهد السلطان الحسن الأول ذلك أن الضغوط على المغرب من قبل الدول الأوروبية، جعلته يتجه الى التحالف والتقارب مع الدولة العثمانية.

كما أن هذه الأخيرة كانت تعمل على تبني سياسة الجامعة الإسلامية ،والتقت المصلحتان على تبادل السفراء والزيارات والخبرات، وبعد أن زار وفد مغربي اسطنبول أرسلت الدولة

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق، ص 560 .

[2] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية (1830 – 1900)**، ج1، المرجع السابق 219.

[3] –نفسه،ص220.

[4] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج5 – 6)**، المرجع السابق، ص (561 – 562) .

العثمانية الأمير محي الدين أول سفير لها الى مراكش، رغم أن فرنسا كانت تقاوم هذا التقارب بين الدولتين المسلمتين، وتحاول منعه بشتى الوسائل، كما كانت تقاوم فكر ة الجامعة الإسلامية [1] .

حين وقعت الحرب العثمانية – الايطالية على ليبيا 1911 كان الأمير محي الدين يدب نحو السبعين سنة، ولذلك لم نسمع عنه شيء عندئذ، وإنما سمعنا بدور أخيه علي، كما سلف إذ أدركته الوفاة في دمشق سنة 1918 [2]

1–4إخوة الأمير :

الى جانب الأبناء هناك إخوة الأمير وهم على الاقل أربعة ممن عرفنا أسمائهم، وهم جميعا أبناء الشيخ محي الدين من زوجته لآلة زهرة، وهم محمد السعيد ومصطفى، وأحمد وحسين، وقد ذكرت المصادر الفرنسية أن للشيخ محي الدين ابنا آخر من اسمه أبو بكر من أم زنجية، وفي سنة 1846 عندما كانت الحرب الفرنسية على أشدها بين الأمير والفرنسيين نشرت مجلة (الشرق) الفرنسية شعرا* للأمير يتشوق فيه الى إخوته، وقد سمى منهم ثلاثة فقط بأسمائهم : محمد السعيد ومصطفى والحسين و لم يسمي أحمد الذي ربما سماه الفرنسيون أبا بكر ،لأن المصادر الأخرى لا تذكر أبا بكر هذا وفي قصيدة الأمير تنويه [3]، بإخوته وقد وصف كلا بوصف يعبر عن مكانته في نفسه، فأخوه الأكبر محمد السعيد المتميز بالوقار والعلم وخليفة والده في الطريقة القادرية سماه الأمير "روح وجودي" وأخوه مصطفى الأصغر منه ولاه عدة مناصب.

[1] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ص(220 – 221) .

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 –6)**، المرجع السابق، ص 562 .

* – بالرجوع الى شعر الأمير، وجدنا القطعة التي يتحدث فيها عن إخوته والتي مطلعها (ياسواد العين ياروح الجسد ....الخ، وقد جاء فيها ذكر ثلاثة منهم وهم السعيد ومصطفى واحمد، ويقول تقديم القطعة أنه قالها عندما أخذهم الفرنسيون الى المنفى، ويبقى الأمر في حاجة الى مقارنة النصين العربي والفرنسي . أنظر:(أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص564)

[3] – نفسه ،ص564.

وقد سماه" ذراعي الأيمن " وأطلق على حسين اسم "ربيع حياتي "، أما الرابع الذي لا نعرف اسمه من القصيدة، والغالب أنه أحمد فقد سماه الأمير "مم عيني " أو"سواد عيني " وقد ذهب خيال المعلقين الفرنسيين عند ئذ على القصيدة الى أن ذلك إشارة الى سواد بشرة هذا الأخ، والى كونه من زنجية، وليس من لآلة زهرة ذات الجمال والفضل ، لكن عبارة "سواد العين " عند العرب تعني العزيز الغالي ولا تعني سواد البشرة [1] .

أما من ناحية الأدوار فان بعض إخوة الأمير كانوا معه في سياسته وبعضهم كانوا قد سببوا بعض الإحراج، و لم تكن رؤيتهم متحدة في معالجة المواقف السياسية، فمحمد السعيد كان يتصرف كمرابط وهو الذي ورث بركة والده الصوفية، وكان مقيما في زاوية القيطنة أثناء المرحلة الأولى من المقاومة ولاشك أنه ساعد أخاه بتجنيد أتباع الطريقة الى جانبه، وكان الأمير يحترمه ويستشيره في المسائل الصعبة، كما هي التقاليد العربية إذ يحل الأخ الأكبر محل الأب.

وقد تثقف على والده الشيخ محي الدين، وعلماء زاوية القيطنة قبل الاحتلال، ولكن جاهد مع أخيه وحضر وقائع عديدة معه، سجنه الفرنسيون في عنابه حيث بقي سنوات، قبل السماح له بالهجرة الى دمشق التي استقر فيها، وأصبح من المدرسيين الى أن توفي بها، وترك ولدين هما محمد المرتضى، وعبد الباقي كما ترك بعض المؤلفات [2] .

أحد أبناء محمد السعيد أصبح هو الوارث لبركة والده وجده في الطريقة القادرية أيضا ،وهو محمد المرتضى وكان هذا من مواليد القيطنة، وكان محمد المرتضى من الشباب المجندين في أخر عهد المقاومة، وحضر مع الأمير عدة معارك، وحين انتقلت العائلة الى دمشق كان قد قارب العشرين سنة فستكمل تعليمه على يد الجزائريين والسوريين، ورغم المغريات بالوظائف فانه ظل كوالده وجده ميالا الى العلم والتصوف، وكلفه عمه بالسفر الى اسطنبول في مهمة سنة 1273 لا

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** (**5 – 6**)، المرجع السابق، ص 565 .

[2] – نفسه ،ص564.

ندري ماهي الى الآن وفي سنة 1281 حج مع الأمير، وهو الحج الذي أخذهم الى مصر والحجاز، وقد زار بغداد للتبرك بضريح عبد القادر الجيلاني، ثم استقر ببيروت، ورفض منصب القضاء في أزمير.

وكان من رجال الدين المحتمين بالسلطة العثمانية، لذلك رتب له السلطان عبد الحميد، راتبا شهريا يعيش منه، وقد توفي في بيروت 1361 وعند البعض 1902 [1]، أما الابن الثاني للشيخ سعيد وهو عبد الباقي ولد في عنابة (1267– 1850) عندما كان والده سجين بها ،ثم تثقف في المشرق وعاش في سوريا، وتولى فتوى المالكية بدمشق وتوفي 1335 (1916) [2] .

أ– مصطفى:

تولى مصطفى عدة مناصب لأخيه أثناء الثورة، وكان طموحا مندفعا وربما كان يغار من أخيه وكان كثير النقد لأعمال أخيه، وهذا حسب رواية الفرنسيين ولا نجد له ذكرا بعد هزيمة الأمير في الأحداث التي جرت بعد ذلك في المغرب أو المشرق، فما كان مصيره بعد 1847 لا ندري سوى أن له ابنا سماه محي الدين الذي أنجب عز الدين أحد زعماء وشهدا الثورة السورية ضد الفرنسيين.

فعندما احتلت فرنسا سوريا باسم الانتداب الدولي، وقاومها السوريون أشد مقاومة انضم الأمير عز الدين الى الثورة، فحمل السلاح ضد الجيش الغازي متبعا، نهج جده مصطفى والأمير عبد القادر، وأثناء دفاعه عن حرم دمشق قتل في الفوطة سنة 1927 وهو يعتبر من قواد الثورة، وهكذا اختلطت دماء الجزائريين بدما ء السوريين في عدة مواقع [3] .

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** (**5 – 6**)، المرجع السابق ، ص 566 .

[2] – نفسه، ص 567 .

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 –6**)، المرجع السابق، ص (567 – 568).

ب – الحسين :

أصغر إخوة الأمير حسب الجرائد الفرنسية الصادرة 1854، وقد عاش الحسين أحداث المقاومة ثم هاجر الى دمشق واستقر بها ،وتذكر المصادر المشرقية أن له ابنا اسمه نور الدين، وقد جاء نور الدين هذا مهاجرا مع والده الى دمشق وتعلم على بعض علماء المهاجريين والسورين، وتولى عدة وضائف إدارية وعلمية في سورية والعراق، مثل القضاء والأوقاف، قبل أن يولى نقابة الأشراف على عموم الدولة العثمانية، واستقر في اسطنبول، وتوفي نور الدين في 1333 (1914)[1].

ومن أبناء نور الدين الأمير مختار المعروف بالمختار الجزائري، ويهمنا أن الأمير مختار الجزائري من سلالة الحسين بن محي الدين، وأنه لعب دورا في نصرة القضية الجزائرية، والمغرب العربي حين ترأس شرفيا جمعية الجالية الجزائرية، اللجنة العليا لدفاع عن الجزائر، ثم جبهة الدفاع إفريقيا الشمالية [2].

وفي ذلك دليل على أن الجزائريين في المشرق لم ينقطعوا عن الدفاع عن وطنهم، وأنهم كانوا يرثون ذلك جيل بعد جيل .

ج – أحمد

أما الأخ الرابع للأمير أحمد بن محي الدين الذي ولد سنة 1249 (1833) توفي والده وهو صغير وكفله أخوه محمد السعيد وأسرته وتربى على يد إخوته وأعمامه، وعاش فترة الطفولة على وقائع الحرب والمقاومة، وهناك اختلاف في مصيره بعد 1847 فبعضهم يقول أمه ذهب مع عمه الى سجون فرنسا، حيث بقي الى أن أطلق سراح الأمير سنة 1852 فتوجه معه الى بروسة ثم دمشق.

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 –6)**، المرجع السابق ،ص 568 .

[2] – الفضيل الورتلاني، **الجزائر الثائرة**، دط، بيروت، ص284 .

وهناك قيل أن أحمد بقي مع أعمامه الأخريين الذين احتجزهم في الجزائر عنابه ووبقو مسجونين هناك الى أن سمح لهم بالهجرة الى الشام سنة 1273 (1856)، وفيها ازداد علما على يد جماعة من المهاجريين والسوريين، كما أخذ الطريقة القادرية، فكان أحمد يعتبر من العلماء الزهاد ومهتما بالحديث الشريف ويقصده الناس لحل مشاكلهم، ولأحمد بعض التآليف من أبرزها تاريخ حرب أخيه للأمير عبد القادر، وهو يحتوي على حقائق، لا توجد في "تحفة الزائر" وكتب له كتاب في التصوف بعنوان (نثر الدر) سنة 1924 أي بعد وفاته سنة 1920. ومما يلفت النضر أن المصادر لا تذكر سوى ابنه الوحيد وهو بدر الدين الحسيني الذي طبع كتاب والده (نثر الدر) [1]

2 – نشاط الأسرة المعارض لدولة العثمانية :

لقد كان موت الأمير عبد القادر سبب في انقسام أبنائه كما سبق الذكر الى قسمين : قسم انحاز الى الدولة العثمانية وقسم انحاز الى الدولة الفرنسية، فب النسبة للذين انحازو الى الفرنسيين بعدما كانوا مع العثمانيين أو كانوا مع العثمانيين ثم انحازوا الى الفرنسيين نجد :

2–1 الأمير عبد المالك :

لعب هذا الأمير دورا بارزا في تاريخ المغرب الأقصى في مطلع القرن العشريين، حيث خرج من تركيا في اتجاه المغرب الأقصى في مطلع القرن العشرين، للعمل على مقاومة الفرنسيين ودامت مقاومته منذ سنة 1914 الى سنة 1929 [2]، وهي السنة التي أستشهد فيها في معركة حامية الوطيس ضد الفرنسيين بالمغرب الأقصى، عاش الأمير في المشرق العربي فترة شائكة ومعقدة تتجلى في

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 –6)**، المرجع السابق، ص569 .

[2] – ناديا طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام**، المرجع السابق، ص (194 – 195) .

المصالح المتضاربة بين عدد من القوات المتباينة من جهة، والمتداخلة من جهة أخرى ومشتركة من جهة ثالثة [1] فهناك المسألة الشرقية.

وهناك المسألة المصرية، وهناك المسألة المغربية، ومناك القومية العربية ن وهناك القومية الإسلامية كل هذه القوات كانت تؤثر في النفوس وتوحي بمبادئ جديدة، اعتنقها الشباب والكهول وتصارعت بسبب تلك القيم والعقليات، وتمايزت الاتجاهات والتراعات، وتجدد التفكير والهدف، ومن بين هؤلاء الذين عاشو في خضم هذه الصراعات ،والتراعات، فتغلبت على الأمير عبد الملك في الأول التزعة الوطنية [2]، فانخرط في الجيش العثماني في نهاية القرن التاسع عشر.

وحصل على رتبة مقدم، وبمجرد سماعه بثورة الشيخ بوعمامة التي انطلقت مرة ثانية من المغرب سنة 1903، لمحاربة الفرنسيين في الجزائر قرر الالتحاق به ورفع السلاح مع الثوار الى ان اضطر قائد الثورة الى إلقاء السلاح سنة 1904، وبعدها انضم الأمير عبد الملك الى الثائر المغربي "بوحمارة " وحارب معه لفترة [3] .

وفي هذه الأثناء كانت فرنسا تتوجس خيفة من الجزائريين الذين هم في الخارج، خاصة من لهم مناصب عليا في الجيش العثماني، أو الإدارة، وبناء على هذه المخاوف الفرنسية رأت فرنسا أن تفتح الباب في جميع الناصب، ومنها ما يتعلق بالأمن والدفاع لهؤلاء الجزائريين عسى أن يتركوا الدولة العثمانية، وينضموا إليها لتخفف من وطأتهم ومن مشاعرهم الوطنية كي تمنعهم من الدخول في الحركة الإسلامية [4] .

[1] – ضيف الله محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 43 .

[2] – ضيف الله محمد الأخضر، المرجع السابق، ص43

[3] – ناديا طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق**، المرجع السابق، ص195 .

[4] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية ج1**، المرجع السابق،ص 259.

ونتيجة لما تقدم اغتنم الأمير مالك الفرصة والتحق بفرنسا وفور وصوله عينته قائدا لقوات الشرطة في طنجة، فقبل الأمير هذا المنصب المتواضع ،وفي الفترة الواقعة بين 1906- 1974 كانت الحرب الباردة قائمة على قدم وساق بين ألمانيا وفرنسا، حول عدد من القضايا التي تتعلق بالمستعمرات سواء في المشرق العربي أو المغرب، وخاصة إقليم طنجة، حيث يوجد الأمير مالك [1] .

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، كان في فرنسا يتداوى، وزار اسبانيا واتصل بسفير ألمانيا في مدريد، فتفقا على فتح جبهة مشتركة ضد الفرنسيين في المغرب الأقصى في أواخر 1914، ترك الأمير عبد المالك طنجة وتوجه الى داخل المغرب لتنظيم قواته، فحاول ذلك مرة في جبالة بالمنطقة الاسبانية، حيث اصطدم فيها بالشريف الريسوني، وكرر المحاولة في بني مستارة في المنطقة الفرنسية ونجح في تأليف قوة لمحاربة الفرنسيين، ووصل الى معسكره في هذه المرحلة ضباط ألمان وأتراك، وبقي الأمير يحارب الفرنسيين بضراوة آملا أن تنتصر ألمانيا وتركيا في الحرب، وبذلك تحصل الجزائر والمغرب على استقلالها، وسرعان ماتناقلت الصحف العالمية وخاصة الألمانية خبر انتصاراتها على الفرنسيين الذين خسروا في المعارك عددا كبير من جنودهم ولكن على غير ذلك جاءت نهاية الحرب العالمية الأولى.

وعلى غير ما كان يأمل الأمير والثوار فقد خسرت ألمانيا وتركيا، وكان النصر حليف فرنسا وانجلترا، وبذلك توقفت الامددات التي كانت تصل الأمير من حلفاءه وفي عام 1924 قاد أخر حملة ضد فرنسا وأستشهد [2]

[1] – ضيف الله محمد الأخضر، المرجع السابق ص44 .

[2] – ناديا طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام**، 1847-1911، المرجع السابق، ص 45 .

2-2 الأمير عمر :

ولد سنة 1871 بدمشق وعاش فيها، وخالف اتجاه إخوته الكبار مثل محمد ومحي الدين وعلي ،ومال الى الفرنسيين، أي بقي على صلة بالقنصلية هناك بل أصبح المتكلم باسم المهاجرين الجزائريين الذين بقو على صلة ببلادهم في كل ما يتعلق بهم مع الفرنسيين.

وكان يسافر بين دمشق وباريس، ومادام الأمر كذلك، فهو يكون في صف المعادي للعثمانيين وفي إحدى زياراته لفرنسا حصل على وسام من رئيس جمهوريتها، وإذا كان نشاطه مغفور في عهد السلم ،فانه يكون خطر في عهد السلم [1]، فقد تم القبض عليه من طرف السلطات العثمانية وأعدم في دمشق حيث أتهم بالموالاة للفرنسيين في 6 مايو 1916 [2]

3-3 الأمير الهاشمي :

لقد اكتسبت فرنسا الى صفها الأمير هاشم الذي تحول شيئا فشيئا الى مدافع عن المصالح الجزائريين التابعين لفرنسا، ما كان سببا في مواجهات حادة بين السلطات العثمانية والقناصل الفرنسيين في دمشق وبيروت، حتى أن هؤلاء اشتكوا من مبالغته في الشكاوي من تعسف السلطات المحلية وممارستها تجاه الجزائريين المحليين [3].

وتجدر الإشارة الى أن عاهة العمي وعدم تفاهمه مع الأتراك، جعلت من الأمير الهاشمي كثير القلق، ولا يحسن تقديم قضيته أمام الوالي، وفي إحدى المرات غادر الأمير الهاشمي دمشق غاضبا، وتوجه الى بيروت، ولكن القنصل الفرنسي أقنعه بالرجوع، واشترط الهاشمي أن يرجع معه القنصل ففعل، مما أثار استغراب ودهشة الجالية الجزائرية، ولاحظ عليه الفرنسيون أنه كان يبالغ في طلب النقود والمعيشة الفاخرة واقترح القنصل نقله الى منطقة أخرى.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق ص (555 – 556) .

[2] – سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق**، المرجع السابق، ص 102 .

[3] – ناديا طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام**، المرجع السابق، ص146 .

وكانت مصر إحدى البلدان الممكنة [1]، ولكن في نهاية الأمر اضطر الى الخروج من سورية والإقامة سنة 1892 مع عائلته [2] .

وقد كانت صلة الأمير الهاشمي بالفرنسيين منذ وفاة والده الأمير عبد القادر، ونجد بعض المراجع تقول أن الحكومة الفرنسية قد وافقت على منح ابنيه منحة دراسية في ثانوية لويس لوقران سنة 1888، وكلاهما رافقه الى الجزائر ولعلهما سبقاه الى دراسة بفرنسا، وكان الأمير الهاشمي يهنئ بعض الأعيان الفرنسيين بالعام الجديد [3]، ومنذ أن حل الأمير الهاشمي، بالجزائر استقر في بوسعادة بعائلته .الى أن توفي وواصل أولاده التعلم في المؤسسات الفرنسية[4]

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج (5 – 6)**، المرجع السابق، ص556 .

[2] – ناديا طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام**، المرجع السابق، ص146 .

[3] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص557 .

[4] – نفسه، ص 557 .

خاتمة

يعد الأمير عبد القادر من الرجال القلائل الذين لا يمكن تنافي دوره في العالم الإسلامي ولا إزالة فكره وذكره من الأذهان،ورغم المحاولات العديدة لاختلاس هذه الذاكرة أو محاولة تشويهها أو طمسها،ورغم الهزيمة التي يراها البعض بمثابة الموت المعنوي أو الكلي يبقى الأمير من الزعماء الذين ذاع صيتهم في أثناء الاحتلال الفرنسي وذاع أكثر فأكثر بعد الاستسلام لما لعبه من أدوار مشرفة في كل مكان وطأته قدماه،وقد تزامن ظهور هذه الشخصية والدولة العثمانية المترامية الأطراف شرقا وغربا شمالا وجنوبا مستحوذة على جزء كبير من هذا العالم ،حاملة لواء الإسلام،وكان لابد أن يكون لهذا الرجل علاقة معها سواء بتأثير أو بالتأثر،فكان الأمير النموذج للحاكم المثالي لأنه لعب عدة أدوار من الناحية الدولية والإسلامية والتي كانت الدولة العثمانية راعيتها.

لقد كانت علاقة الأمير بالدولة العثمانية قبل استسلامه تتميز بالتوتر والعداء من كلا الجانبين، فقد عارضها في عنجهيتها وغطرستها وسوء معاملة حكامها للرعية،وسوء أحوال البلاد نتيجة أفعالهم وتصرفاتهم سهلت لفرنسا دخول وطنه الجزائر ،خاصة أمام السهولة التي استسلم بها الداي حسين محملا بالثروات تاركا الجزائر تتخبط وسط عبثهم ،ليرفع الأمير لواء الجهاد مكافحا الاستعمار مستعملا معه الدهاء والحيل بإبرام المعاهدات وحرب العصابات إلى أن ضاقت به السبل وتأمر عليه الصديق قبل العدو ،ولم تكن هذه النظرة من الأمير فقط،فالدولة العثمانية هي الأخرى كانت تبادله نفس الشعور فقد كانت تنظر إليه على أنه متطاول على السلطة،وأنه ما كان عليه أن يبرم أي اتفاقية مع العدو وهو أحد رعاياها،فنجدها تحالف نظيره أحمد باي في قسنطينة الذي كان هو الآخر يكن له العداء لأجل الحفاظ على مصالحه ومنصبه في بايلك الشرق وهذا ما كانت تسعى إليه الدولة العثمانية فقد عملت على عرقلة معاهداته مع فرنسا،وعمدت إلى إقامة علاقات ود مع فرنسا طمعا في استعادة نفوذها في الجزائر،لكن هذه الاتفاقيات أودت بالجزائر، ففشلت كل المقاومات والمساومات بما في ذلك مقاومة الأمير عبد القادر،ليسلم نفسه سنة 1847بعد أن

خاتمة

تحالف عليه "عبد الرحمان" سلطان المغرب وضاقت به السبل فيسلم نفسه للقائد لامورسيير بعد أن وقع معه اتفاقية تضن سلامته وسلامة من معه،ومن بقي في الجزائر،لكن الحكومة الفرنسية لم توفي بذلك فبعد أن وعدته بالذهاب إلى عكا أو الإسكندرية كما طلب هو،تراجعت عن ذلك ليلقى به أسيرا في سجون فرنسا حيث بقي هناك أكثر من خمس سنوات في كل من قصر امبوزا وبو، وفيها قدم مثالا للصبر والتضحية جعلته يحظى بالاحترام والتقدير،فهذا نابليون الثالث يهرع مسرعا لإطلاق صراحه ويشاركه في الانتخابات بفرنسا، وهاهو نفس التقدير يحظى به من السلطان العثماني عبد المجيد ويوافق على استقباله رغم ما كان يكنه من عداء ويخيره أي بلد يريد الإقامة فيها فوقع اختياره على بروسه لأنها تشبه وطنه الأم ،ورغم كل المساومات التي قدمتها له فرنسا إلا أنه رفض العدول عن مطلبه ولو بملوك الدنيا.

لقد برزت عقلية الحاكم العثماني في تقديم الاحترام والتقدير ،لكن لا يمكن إنكار الحقد والعداء الذين مازال الكثير من أعيانهم يكنونه للأمير عبد القادر خاصة وأن يرو ملكا عربيا كبا به حصان الزمن،أحس الأمير بذلك لكن لم يبدي ذلك تخوفا مما قد ينجر عنه من أثر سيء على علاقته مع من أحسن معه–السلطان عبد المجيد–،فقرر الرحيل متحججا بكثرة الزلازل،لينتقل إلى بلاد الشام،وهناك وجد نفسه بين رعيته الجزائريين المهاجرين بدافع الاحتلال وآخرون بدافع القرب منهم والذين سيلعبون دورا بارزا في علاقته سواء مع الدولة العثمانية أو فرنسا.

عندما وصل الأمير إلى الشام كان واعيا كل الوعي بمكانته وبالدور الذي يمن أن يطلب منه القيام به،وقد كانت السلطات الفرنسية تراقب عن كثب تحركاته، وهو الذي وعد نابليون الثالث بعدم التدخل في الشؤون الفرنسية بالجزائر،لكن كانت تخشى من النفوذ الذي يمكن أن يصل إليه في المشرق والتي حاولت استغلالها،لأنها كانت ترى فيه الثقل الذي سيحدد توجهات ومصير الدولة العثمانية.

خاتمة

لقد دفع به الدور الذي لعبه في حوادث عام 1860في دمشق في الصف الأول،هذا حين قام بإيواء المسيحيين،محذرا العرب من مغبة ما يقومون به، ومن المواقف الأمير السياسية مع الدولة العثمانية أيضا هو ما حدث عام 1877حين انتصر روسيا عليها وعقد زعماء بلاد الشام مؤتمر دمشق السري لنظر في استقلالها عن العثمانيين ،وقّر رأيهم على تنصيب الأمير عليها،لأنه الشخصية التي تستطيع إقناع الأتراك بحق العرب بالاستقلال،لكن الأمير رغب في الارتباط الروحي بين بلاد الشام والخلافة العثمانية ،ليساهم في يقظة العرب والمسلمين مما كان يحيكه الاستعمار من فتن ، لذلك فضل السلطان العثماني سلطانا على الشام،ووقف عبد القادر ضد مفتعلي الاضطرابات الطائفية ،ووقف ليقطع الطريق على القوى الداخلية والخارجية المستفيدة من ذلك ،ومن البديهي أن لهذه القوى مطامع ومصالح في المنطقة تعمل على تحقيقها فهي منطقة إستراتيجية،فراحت تبحث عن ذلك،فما كان لها إلا نشر الاضطرابات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين التي لم تكن تعرفها المنطقة آنذاك ،وتوغلت روسيا بحجة حماية الأقليات وكانت نهايتها سقوط الدولة العثمانية وتفتيتها،وكان الأمير قد دعا من قبل إلى التعقل والتسامح لكن هذا لم يلقى أذانا صاغية،واندلعت الفتنة وتدخل الأمير رفقة ابنيه محمد والهاشمي لتهدئة الوضع وإخماد الفتنة،وكان مجرد جوده يبعث الرهبة،فأنقذ المسيحيين بآلاف وتولى بنفسه إنقاذ الإرساليات الدينية فقدر عدد النصارى والراهبات الذين أنقذهم الأمير بين 11000و13000واستقبل في منازله4000، ليتلقى الأمير عبد القادر تعبير الشكر والامتنان وقد صدقت توقعات "دولاد"بتأثير الأمير بثقله في الدولة العثمانية،فقد رد الشام أحد أهم ولايتها.

لقد لعب الأمير دورا بارزا في بلاد الشام والذي ساهم في رسم علاقته بالدولة العثمانية، لتضاف إلى كل ما سبق قضية المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام الذين هاجر أغلبهم للقرب من الأمير ، والتي تعتبر من أبرز القضايا التي أثرت على علاقة الأمير بالدولة العثمانية حين أصدرت فرنسا قانون الحماية وأعلنت أن الجزائريين المقيمين في بلاد الشام العثمانية يعدون رعاياها،في حين

خاتمة

اعتبرت الدولة العثمانية أن بلاد الشام جزء من أراضيها وان شعبها المقيم هناك شعب لها ،لتظهر بذلك قضية التجنيس، وكان هذا الجدال سببه الأمير عبد القادر لذلك طلب تحويله إلى بلد أخر،وبعد وفاة الأمير عبد القادر في يظهر اتجاهان وسط عائلته اتجاه مساند للدولة العثمانية وأخر معارض لها ويحدث انشقاق داخل أسرته ،وهو ما اعتبرناه بالجديد في رسالتنا فتم تطرقنا إلى هذين الموقفين المتضادين ففريق ساند الدولة العثمانية والمتمثل في كل من محمد،محي الدين ،أما عمر أحمد وعبد الرزاق فقد كانوا على علاقة مع فرنسا لكن الملاحظ عن أولاد الأمير، ان كل من فرنسا والدولة العثمانية سعت إلى كسب ودهم خدمة لمصالحهم ودعما لقضية التجنيس،لكن ماذا تراه يكون موقف الأمير وهو الذي كان ابن بيئته استفاد كل الاستفادة من المكان يمكث فيه والظروف التي يمر بها،مبينا قدرته على التأثير والتأثر متحررا من عقدة الآخر مقتنعا بضرورة تكافؤ القوي في أي مواجهة.

وتبقى هذه الرسالة وهذا الموضوع بحاجة أعمق وتحليل أكبر، مع كثير من الدقة،و يكون موضوعنا البسيط فاتحة للمواضع أخرى لم ينفض عنها الغبار بعد.

1/ قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

1. ابن التهامي الحاج مصطفى ، **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده** ، تر: يحي بوعزيز ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان 2005 .

2. أحمد باي ، مذكرات أحمد باي ، (د.م.ن) ، باريس ، 1971.

3. الأمير عبد القادر ، **ديوان الأمير عبد القادر**، تر: ممدوح حقي ، دار اليقضة العربية للتأليف والترجمة وانشر ،د. .ت .

4. الأمير عبد القادر ، **مذكرات الأمير عبد القادر** ، ط7 دار الأمة ، الجزائر ، 2010 .

5. تشرشل هنري ، **حياة الأمير عبد القادر** ، تر: أبو القاسم سعد الله ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2005 .

6. الجزائري الأمير سعيد ، **مذكراتي** عن القضايا العربية والعالم الإسلامي ، ط 2 ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر 1968 .

7. الجزائري محمد بن عبد القادر ، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر والجزائر** ، ج 1 – 2 ، المطبعة التجارية ، مصر ، 1903 .

جون ب وولف ، **الجزائر وأوروبا** (1500 – 1830) ، تر: أبو القاسم سعد الله ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986

8. الحسني بديعة الجزائري ، **الأمير عبد القادر حياته وفكره** ، تر : أبو القاسم سعد الله ، ج 1 ، ط2 ، (د .م .ن) ، الجزائر ، 2012 .

9. خوجة حمدان ، **المرآة** ، تر : محمد العربي الزبير ، وزارة المجاهدين الجزائر ، 2008

10. الصلح عادل ، **سطور من الرسالة** تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق سنة 1877، ط1 ، مطابع دور العلم للملايين ، بيروت ، 1966

11. أسكوت ، **مذكرات عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر** (1841) ،تر ، اسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.

ثانيا /المرجع :

1. احمد كمال الجزار ، **المفاخر في معارف الأمير عبد القادر** ، : تق .تح . محمد زكي إبراهيم ، ط1 ، دار العشرة المحمدية ، د.م.ن، 1997 .

2. الأخضر ، ضيف الله محمد ، **محاضرات في النهضة العربية الحديثة** ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

3. إسماعيل عز الدين ، **الأمير عبد القادر الجزائري** ، دار العودة بيروت ،1975

4. ايتين برونو ، **الأمير عبد القادر الجزائري** ، تر : مشيل خوري ، ط 1 ، دار عطية ن لبنان ، 2007 .

5. بسايح بوعلام ، **الأمير عبد القادر مغلوب لكن مظفرا** ، تر: خليل أحمد خليل ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 .

6. بلاح بشير وآخرون ، **تاريخ الجزائر المعاصر** من1830 الى 1989 ، ج 1 ، دار المعرفة الجزائر .

7. بو باكير عبد العزيز ، **الأمير عبد القادر في المؤلفات الروسية** 1998، أعمال ملتقى دار الحكمة ، الجزائر .

8. بوعزيز يحي ، **الأمير عبد القادر** ، ويليه مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

9. بوعزيز يحي ، **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري** ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009.

10. بوعزيز يحي ، **ثورات القرن التاسع عشر**، دار الهدى ، الجزائر ،2009.

11. بوعزيز يحي ، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية** ، ط منقحة ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 .

12. بوعزيز يحي ، **موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب** ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009.

13. التميمي عبد الجليل ، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي** ، تونس الجزائر ليبيا من 1816 الى 1871 ، تق : روبامنتران ، الدار التونسية للنشر ، ط1 ، 1972 .

14. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، **تاريخ الجزائر العام** ، ج 4، دار الثقافة لبنان ، 1980.

15. حرب أديب ، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر** ، ج 1، دار الرائد للكتاب الجزائر ، 2007 .

16. الخالدي سهيل ، **الإشعاع المغربي في بلاد المشرق** ، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام ، ط1 ، دار الأمة ، الجزائر ، 1997 .

17. الخالدي سهيل ، **جيل قسما** ، تأثير الثورة الجزائرية في الفكر العربي المعاصر ، وزارة المجاهدين ، 2007 .

18. الخالدي سهيل ، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق** ، دار الأمة ، الجزائر .

19. خياطي مصطفى ، **الأمير عبد القادر سجين فرنسا** ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة ، 2013 .

20. سعد الله أبو القاسم ، **أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية** إبان مرحلة الاحتلال، المنعقد بفندق الأوراس ، يومي 30 – 31 أكتوبر 2006 ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007 .

21. سعد الله أبو القاسم ، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، (1830 – 1900) ، ج 1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1992.

22. سعد الله أبو القاسم ، **تارخ الجزائر الثقافي** ،(1500 - 1830)، 1، ط4، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر 2007.

23. سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي**(1830 – 1954) ،ج (5 – 6)، ط2 ، دار الغرب الإسلام ،لبنان ، 2005 .

24. سعد الله أبو القاسم ، **محاضرات في تاريخ الجزائر** ، بداية الاحتلال ، دار الرائد ، الجزائر ، 2007 .

25. سعيدوني نصر الدين ، **ورقات جزائرية** ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائرّ، 2000.

26. سعيدوني نصر الدين ، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر** في العهد العثماني ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 2000 .

27. سعيدوني نصر الدين ، عصر الأمير عبد القادر ، دار البصائر لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 .

28. الشريف ولد الحسين محمد ، **من المقاومة الى الحرب** ، من أجل الاستقلال 1830- 1962 ، دار القصبة للنشر ن الجزائر ، 2010 .

29. صالح فركوس ، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي** ، المقاومة المسلحة (،1830- 1962) ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 .

30. الصلابي محمد ، **الدولة العثمانية عموامل النهوض واسباب السقوط** ،ط 1، المكتبة العصرية ، لبنان ،2007.

31. طرشون ناديا وآخرون ، **الهجرة الجزائري نحو المشرق العربي** ، اثناء الاحتلال ، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2007 .

32. الطيبي محمد ، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي ، ط1 ، دار نديم للنشر والتوزيع ، 2009 .

33. العربي اسماعيل ، **الأمير عبد القادر** مؤسس الدولة وقائد الجيش ،ط خاصة ، الجزائر 2007 .

34. العربي منصور ، **تاريخ المقاومة الجزائرية** في القرن 19 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2006.

35. العسلي بسام ، **الأمير عبد القادر** ، دار النفائس بيروت ، 2007 .

36. عشراتي سليمان ، **الأمير عبد القادر في بلاد المشرق** ، دار القدس لنشر ، الجزائر ، 2007.

37. علوي الطيب محمد ، **مظاهر المقاومة الجزائرية** ، (1830- 1954) ، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2000.

38. عمار بوحوش ، **التاريخ السياسي للجزائر** ، من البداية ولغاية 1962 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر 1997 .

39. عوض صالح ، **معركة والطلبة في الجزائر** ، الزيتونة للإعلام والنشر ، الجزائر 1989 .

40. غرغورة إدريس ، **فارس الجزائر** الأمير عبد القادر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر (د. ت) .

41. الفرجي بشير كاش ، **مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر** (1830 – 1962) ، ط خاصة ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007 .

42. القاصري السعيد محمد ، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر** (1830 – 1962) ، الجزائر .

43. قليل عمار ، **ملحمة الجزائر الجديدة** ،ج1 ،دار البعث الجزائر ، 1991 .

44. كاتب ياسين ، **الأمير واستقلال الجزائر** ، تر : محمد هنا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 .

45. لميش صالح ، **الدعم السوري لثورة التحرير الجزائرية** ،ط 1 ، دار البهاء ، الجزائر 2010.

46. لونيسي رابح ، **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي** (1830 – 1838) ، دار الرائد و دار النفائس ، الجزائر 2010 .

47. لونيسي رابح ، **تاريخ الجزائر المعاصر** ،(1830 - 1989) ،ج 1دار المعرفة الجزائر 2010.

48. لونيسي رابح ، **رجال لهم تاريخ** ، دار المعرفة الجزائر 2010.

49. لونيسي رابح و آخرون ، **تاريخ الجزائر المعاصر** (1830- 1989) ، دار المعرفة الجزائر ، 2010 .

50. المحجوبي علي ، **العالم العربي الحديث والمعاصر** ، تخلف فاستعمار فمقاومة ، ط 1 ، دار محمد علي للنشر ، 2009 ، تونس .

51. المدني توفيق أحمد ، **أبطال المقاومة الجزائرية** ، ويليه جغرافية القطر الجزائري ، دار البصائر ، الجزائر 2009 .

52. مسعودان نور الدين ، **أعلام الجزائر** ، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر ، 2010 .

53. مياسي إبراهيم ، **المقاومة الشعبية** ، دار مداني للنشر والتوزيع الجزائر ، 2009.

54. هلال عمار ، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام** ،(1847 – 1918) ، دار الهومة الجزائر ن 2007.

55. ياغي محمد أحمد ، **أسئلة الجنرال دوماس** ، حول وضعية الأسرة المسلمة بالجزائر في أعمال ملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية ، دار الحكمة الجزائر 2001.

56. يحياتن أيت يحي ، **رموز من عمق الجزائر** ، منشورات السهل ، الجزائر 2009.

ثالثا / المراجع باللغة الفرنسية :

1. Abd el kader ,h aani,correspondonces de l' emir Abd elkader(1833-1883) , dar el Gharp, Oran, 2009 .

2. mohamed Chikh Bouamrane Djidjelli, **L' algerie cloniale** par les textes(1830-1962), Anep, 2008.

3. Bessaih Boualem, Phelouis Philipe à Napoléon **U Elamir Abdelkader** Vaincu mais ,Trimp , hont ,Edition Anel.

4. Farkous Saleh , aprçu de , **l'hsttoir de de l'algerie des fhèniciens al'indèpendance** 814 a.v.j.c/ 1962, traduit par benamour salah , dar el- ouloum ,2007 .

5. Ainad tabet Redoune, **histoir d' algerie**, sidi bel – abbes de la colonisatio a la guerre de libèration en zone 5 wilaya 7 (1830- 1962) , eng, 1999k.

6. Bessaih Boualem,**de l'emir Abd elkader a' l'imam chamyl lehèros des thetchènes et du caucase**, ENAG.ALGER .2009.

رابعا/القواميس والموسوعات والمعاجم :

1. إسماعيل زروخي ، **مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة** ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 14 ، منشورات منتوري ، قسنطينة ، 2000 .
1. أفندي محمد ثابت وآخرون ، **دائرة المعارف الإسلامية** ،(د.ت) ، مج 14

خامسا /المجلات :

2. العلا يلي عبد الله وآخرون ، **المنجد في الأعلام** ، ط43 ، دار المشرق ، بيروت ، 2008 .
3. الكيدا لي عبد الوهاب ، الموسوعة السياسية ، ط 1 ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1990 .
2. لاغة خليفة ، **الأمير عبد القادر حقائق وشبهات** ، مجلة أول نوفمبر ، مجلة فصلية تاريخية ، ثقافية سياسية ، العدد ، 174 ، الجزائر ، 2010.

3. محمد غالم ، **الوثائق الفرنسية** ، والهجرة الى الديار الإسلامية ، مجلة علوم إنسانية ، العدد12 ، وهران ، 2000 .

سادسا/مذكرات :

1. **طرشون ناديه الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام** 1847 1911 ، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم تاريخ كلية الأدب ، جامعة دمشق، (1984-1985).

الأمير يشكر السلطان

« أحمدك اللهم حمد معترف بالتقصير عن شكر ما أوليت من النعم ، وأصلي وأسلم على نبيك سيدنا محمد أفضل العرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه الذين شيدوا منار الإسلام ، ودعائم الدين بالعدل والحسام . ثم أرفع أيدي الضراعة والابتهال ، إلى ربنا القدير المتعال ، أن يديم النصر والتأييد لحضرة مولانا الخليفة الأعظم ، والملك الأعدل الأفخم ، سلطان سلاطين الأمم ، ظل الله الممدود في العالم ، ناشر لواء العدل على البرية ، حافظ أحكام الشريعة باهمة العلية القوية ، أمير المؤمنين ، أيد الله تعالى دولته العلية إلى يوم الدين . ثم أتوجه إليه سبحانه ، بقلبي وتضرعي ، أن يوفق كافة وكلائه ووزرائه وعماله في جميع الأقطار ، إلى تحصيل مرضاته بالتزام صفتي الصدق والاستقامة في السر والاجهار .

« بعد ، فإني لم أزل قائماً بوظائف الدعوات الخيرية للدولة العلية ،

في كل بكرة وعشية ، متحدثاً بنعم الله الظاهرة والباطنة ، شاكراً آلاء أمير المؤمنين المترادفة في كل دقيقة وثانية ، مقراً بالعجز عن ايفاء بعض ما وجب عليه وعلى كل موحد في هذا الباب ، سائلاً من ذي الجلال العصمة عن الزيغ والارتياب .

ثم لما وقعت حادثة الشام ، وانتهكت محارم الله بلا احتشام ، وتعين على كل فرد من العباد بذل المجهود في دفع ذلك الفساد ، قمت بأداء ما قدرت عليه من هذه الفريضة الدينية ، والنية الصحيحة في ذلك تحصيل رضاء الله تعالى ، ثم طاعة الدولة العلية . ولما صدرت الارادة السنية بسفر صاحب الآراء الصائبة الألمعية ، حضرة الوزير فؤاد باشا ناظر الخارجية ، قدم إلى دمشق ، وهي تفور كالمرجل ، وارجاؤها من تميز نار الفساد تكاد أن تتزلزل ، فرتب العساكر المظفرة في المواقع اللازمة على مقتضى الحال ، وبادر بتمهيد قواعد الحكمة بلا امهال . وفي أقرب وأقل مدة ساعدته القدرة الالهية ، والتوجه السلطاني أمده ، فأبرز ثمرة تدابيره من القوة إلى الفعل ، واذهب من المدينة بنور الهدى ظلام الجهل ، واظهر عدل أمير المؤمنين لكل باد وحاضر ، حتى أعلنت بذلك خطباء الإسلام على المنابر ، ورضي به كافة الملل والنحل من القاصي والدان ، وطهر ذيل الشريعة المحمدية من لون أهل البغي والعدوان فجزاه الله عن أمير المؤمنين والمسلمين خيراً .

هذا ، وان سيدنا ومولانا ، أيده الله ، ما برحت نعمه تتجدد على الاناء والاذهان . ولم يكتف بذلك دام علاه ، حتى طوقني بعلامة الافتخار ، وهي نعمة شكرها ليس في حيز الامكان ، ورفع قدر مملوكه بما لست له أهلاً من العنايات والتلطيف .

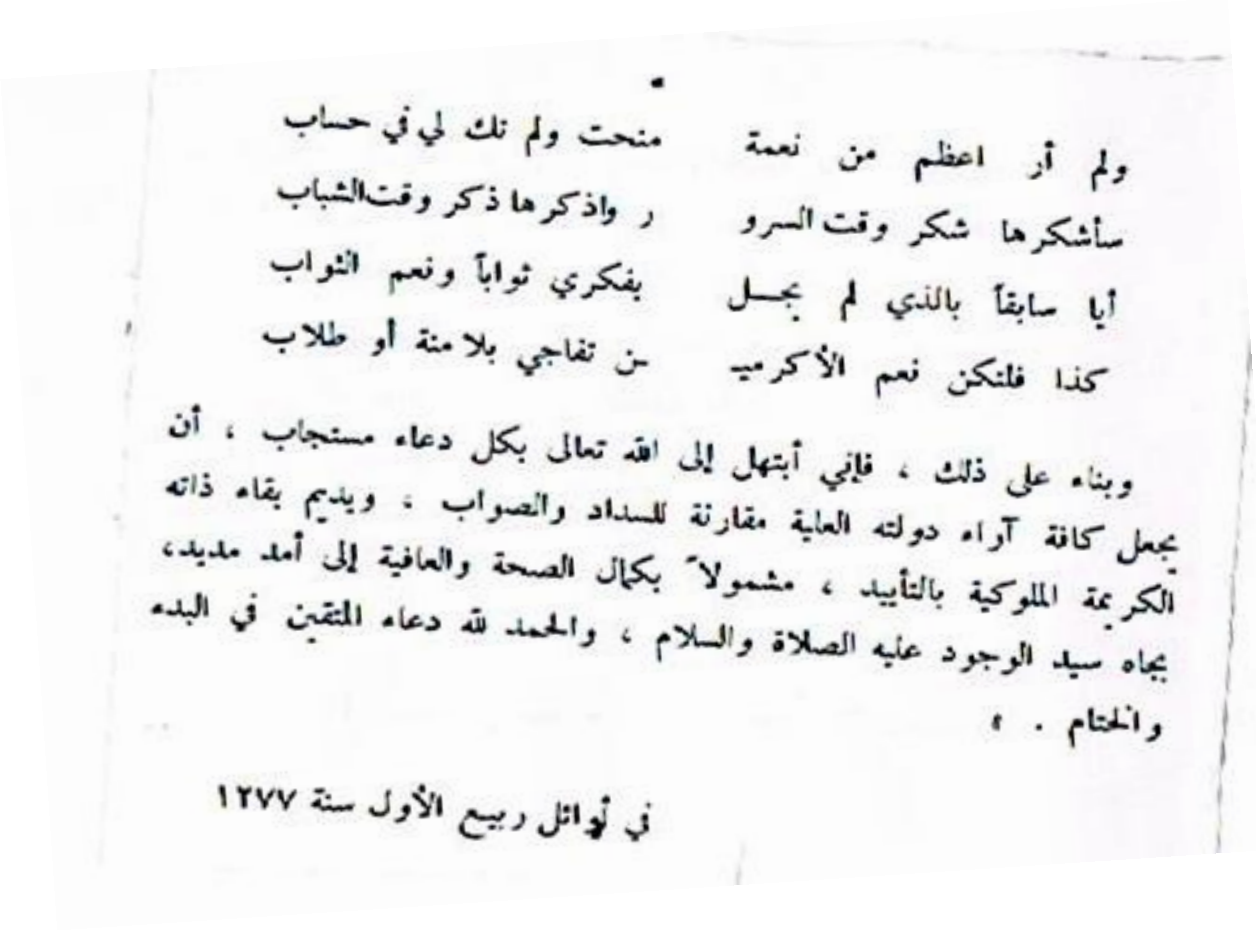

ولم أر اعظم من نعمة منحت ولم تك لي في حساب
سأشكرها شكر وقت السرو ر واذكرها ذكر وقت الشباب
أيا سابقاً بالذي لم يجـل بفكري ثواباً ونعم الثواب
كذا فلتكن نعم الأكرميـ ـن تفاجي بلا منة أو طلاب

وبناء على ذلك ، فإني أبتهل إلى الله تعالى بكل دعاء مستجاب ، أن يجعل كافة آراء دولته العلية مقارنة للسداد والصواب ، ويديم بقاء ذاته الكريمة الملوكية بالتأييد ، مشمولاً بكمال الصحة والعافية إلى أمد مديد، بجاه سيد الوجود عليه الصلاة والسلام ، والحمد لله دعاء المتقين في البدء والختام . »

في أوائل ربيع الأول سنة ١٢٧٧

كتاب الأمير عبد القادر يشكر السلطان العثماني على منحه لوسام الهمايوني تقديرا له على موقفه في فتنة دمشق [1]

[1] - عادل الصلح ، لمرجع السابق ص17(9 – 181)

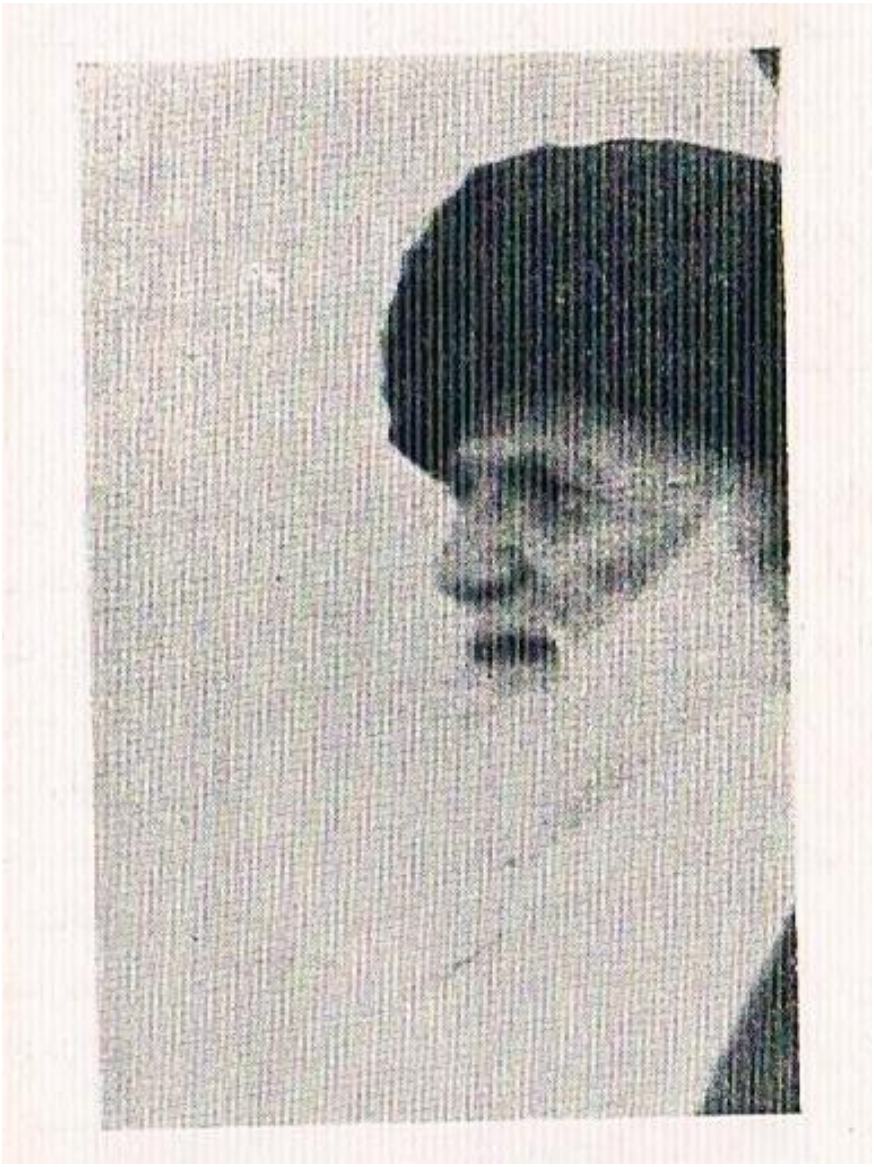

السيد محمد أمين[1]

[1] - عادل الصلح المصدر السابق ، ص61.

أحمد باشا الصلح[1]

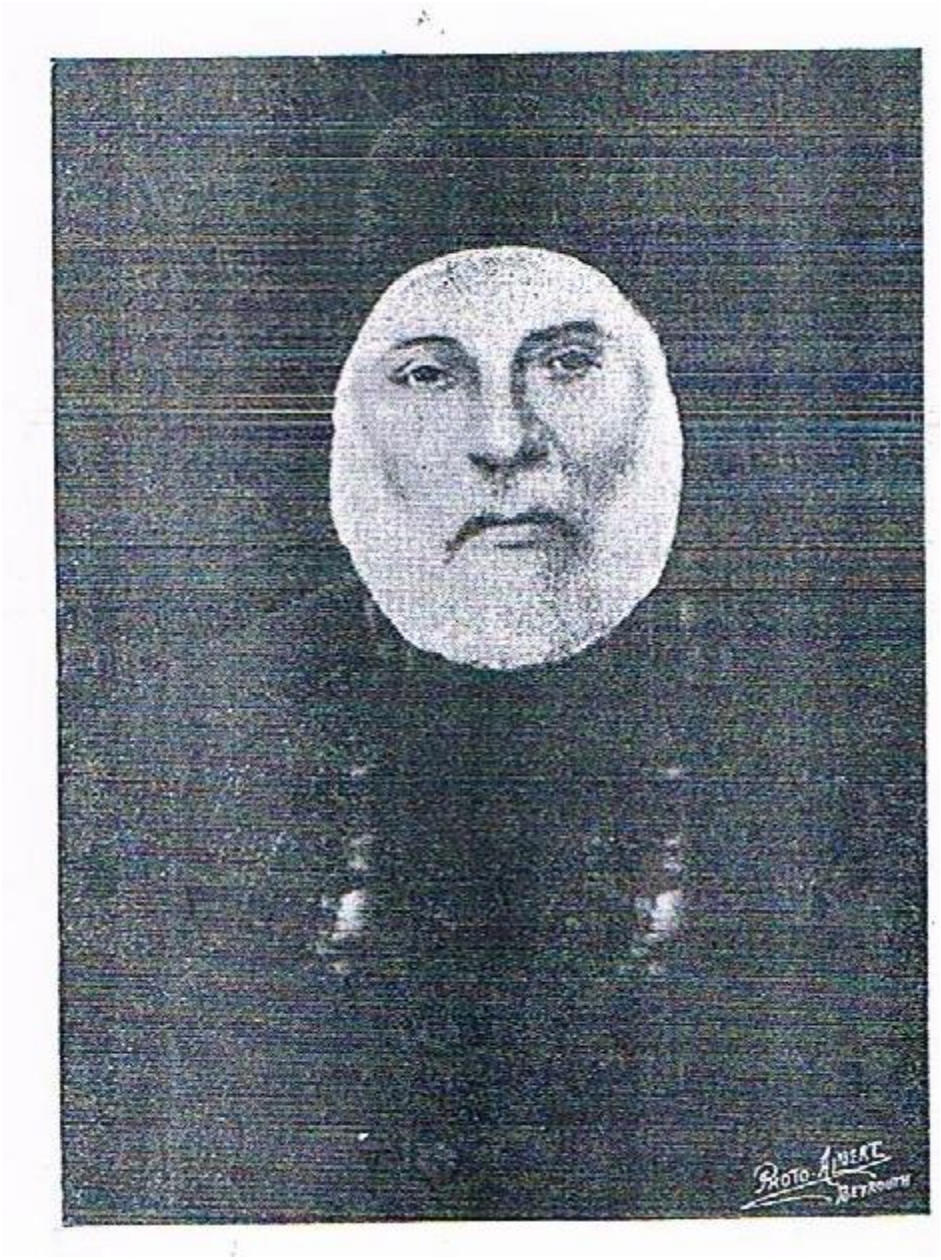

[1] - عادل الصلخ ،المرجع السابق ص 15

رسالة يوسف كرم الى الأمير عبد القادر

وفيما يلي نص كتاب من يوسف كرم إلى الأمير ، يقترح فيه أن يكون نظام الحكم في البلاد وعلاقة الأقطار العربية فيما بينها ، بعد انفصالها عن جسم الدولة العثمانية ، قائماً على أساس اتحادي « كونفدرالي » :

« سر مودوع لأمانة وشهامة فخامتكم

سيدي ومولاي الأفخم

بينما حكومة روسيا منهمكة بالحرب الحاضرة ، فان حكومتي فرنسا وانكلترة ، لاعتقادهما [illegible]

هذه الاقاليم على رفض حماية الحكومة الروسية ، خوفاً من أن يجمع الجنس العربي صفوفه ويصبح حكومة واحدة . والسبب في ذلك ان حكومتي فرنسا وانكلترة تخشيان من أن تمتد فيما بعد اتحاد الجنس العربي فينتزع منهما الجزائر وبعض أقاليم الهند . لذلك فهما ترغبان في استعبادنا جميعنا ، الأمر الذي أوجب اعراضه ، حتى إذا رأت حكمتكم الوسيعة رأيي موافقاً ترسلون معتمدين لمخابرة حكومات وشعوب أوروبا بهذه الخصوصات ، فيعرضون الأمر لكل دولة وشعب على حدة ، قبل أن يصير اعلان المشروع الواجب لانقاذ الجنس والوطن .

ثم إذا رأت فخامتكم أن تعين على الاقاليم العربية أمراء مستقلين يدفعون اليكم أموالاً مقررة ، ويوحدون صفوفهم تحت رايتكم ضد كل تعدي ، قبل أن تتداخل بأمورنا الدول الأجنبية ، فذلك كما يتراءى لي هو أحسن سياسة ، بل هو نفس السياسة التي قد استخدمها المسلمون منذ فجر نشأتهم . وهذه السياسة قد استصوبتها حكومة بروسية وتمشت عليها في تنظيمها جرمانيا من اقاليم مستقلة اتحدت بطريقة « الكونفيديراسيون » . فهذه الاقاليم المستقلة بسهر كل اقليم منها على صيانة إمارته وترتبط مصالحه مع مصالح الحكومة الرئيسية ، ويستمد قوته منها ، وان المال الذي يدفعه لها يكون طفيفاً جداً بالنسبة للحماية والمساعدة التي تصدر له عند الحاجة عن الحكومة الرئيسية ، وعن الاقاليم الباقية التي تؤلف اتحاداً وثيقاً بالمصالح والحقوق .

الحكومة الرئيسية والاقاليم التابعة لها . فاستطاع أعداءالسلطنة أن يستخدموا ضدها أبناءها . بينما الاستقلال الحقيقي يوجب على السلطة العليا أن تجعل جميع مقاطعاتها ، أعضاء جسد واحد مرتبطين بالحقوق والمصالح .

فهذه السياسة الحكيمة توفر على فخامتكم الأموال المقتضية للقـــوة الجبرية والاخطار المحدقة بها ، وتجمع تحت الراية الشريفة زعماء شرعيين مخلصي النوايا ، يزيلون كل صعوبة باستنادهم إلى حق الله والعباد . لأن الحق هو قوة سماوية في القلوب البشرية ، وهو صاحب الفوز كيفما تقلبت الظروف .

يبقى لي أن أعرض لفخامتكم أيضاً بأنه كما ان العجلة تسبب أخطاراً فالتباطؤ يسبب أضراراً وضياع المنافع المنشودة . وقد أعلنت قرائـــن الأحوال بأن الفرصة الحاضرة قد ناهزت البراح ، وانه لدى سقوط الحكومة العثمانية يتلقانا الأجانب بالارث عنها ، ولا يعود يستطيع الجنس العربي أن يتحد تحت راية واحدة .

فبالنظر إلى كل ذلك ، وبما ان العناية الالهية قد أهّلت فخامتكم لتستخدمها واسطة للسير بنا على الطريق القويم ، فاليها اكرر التوسل بألا تدع الفرصة الحاضرة تذهب بدون جدوى .

أسأله تعالى جلّ جلاله أن يعضد المساعي القويمة بالتأييد افندم »[1] .

1

[1] عادل الصلح ، المرجع السابق ،ص (113 – 114 -116)

يوسف بك كرم[1]

[1] (عادل الصلح المرجع السابق ، ص 115)